موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤٧)

الكرم

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

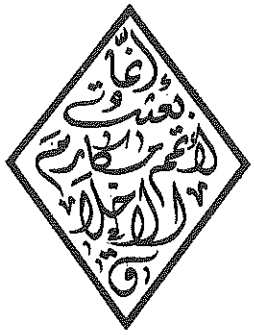

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

٤٧

الكرم

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار رواح

www.menbook.com
موقع المكتبة من زوق تنباك
www.menbook.com

(ح) مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

×-٢٣٢-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٧)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

×-٢٣٢-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٧)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الكرم لغةً	٧
الكرم اصطلاحًا	٩
الكرم في الإرث العربي الإسلامي	١٣
قيمة الكرم في البيئة العربية	٢٥
ظاهرة نار القرى	٤١
ظاهرة الاستنباح	٤٥
آداب الكرم	٥٨
الضيافة وآدابها	٦٣
اللغة الشعرية والتصوير الفني ودورهما في إرساء قيمة الكرم	٩٠
الفهارس	٩٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

الكرم قيمة من قيم الإسلام، وشيمة من أبرز الشيم العربية، والكريم من أسماء الخالق، وصفة من أبهى صفات الرسول الكريم، وقد تفاخر العرب في أخبارهم وأشعارهم وحكاياتهم بالكرم، وذموا البخل وأهله، لما فيه من مناقضة لطبيعة البيئة العربية، ومعارضة لشيم الرجولة والتضحية، حتى إن هذه المادة الثقافية المأثورة تشغل حيزًا عظيمًا تفخر به المكتبة العربية، وعلى الباحثين المهتمين برصد قسمات الحياة الأخلاقية العربية، والتعرف على دقائق نفسية الشخصية العربية أن يهتموا بقراءتها، ودراستها، والإشادة بها تسجيلاً لهذه القيمة وتخليدًا لدورها المعطاء الذي لا ينفد طيلة دوام الحياة وبقاء الإنسان. وإذا كان الإسلام قد نادى في مصادره المعروفة بكثير من القيم الأخلاقية والشيم الإنسانية من الوفاء والتسامح، والصبر والعفة، والتقوى والأمانة، فإن الكرم كان سابقًا لعديد من هذه المكارم التي جاء الإسلام فأقرها، وامتدحها ودعا إليها، وبشر أصحابها، وما أكثر الآيات الكريمة التي تدعو إلى الكرم، وتجعل لأهله عظيم الأجر في الدنيا والآخرة، كما حفل الحديث الشريف بالدعوة والحض على الجود والعطاء، وإكرام الضيف. ونكاد نجزم بأن الموروث الأدبي والأخلاقي قد احتفى بتلك القيمة احتفاءً لم تحظ بها قيمة أخرى من مكارم الأخلاق، وربما يعود ذلك الاحتفاء لعراقة تلك القيمة، ووجودها في عصور ما قبل الإسلام، ولارتباطها الطبيعي بالبيئة العربية وبطبيعة الإنسان العربي، كما أن تلك القيمة تعد أصلاً لعديد من القيم الأخرى، ومصدرًا لطائفة من الأخلاق ومكارمها، فقد يكون الكرم حافزًا للشجاعة، ودافعًا للأمانة، ومحبذًا للعفة، وداعيًا للإيثار.

والكرم العربي أصل لا فرع، وجوهر لا عرض، وحلية أساسية لا زينة كمالية، وخلق يقرّب صاحبه من ربه ومن الناس. والبخيل مذموم حتى من أهله ومن نفسه التي يحرمها ويقصر في حقها.

www.mtenback.com

ومن روافد الكرم الجود والسخاء، والبذل والعطاء، من صفاء وسماحة، وتضحية وفداء. والكريم يتصف بالعزة والأنفة، والاعتداد والسموّ، لا يعرف الخنوع ولا يداهن أو يراوغ، بل يلبي النداء، ويغيث الملهوف ويتهلل وجهه فرحًا حين يفرّج أزمة المكروب.

ومن روافده الضيافة وإكرام الضيف، ولن نجد أمة اعتدت به اعتداد أمة العرب والإسلام؛ فلا تردّ سائلاً أو تصدّ بابًا في وجه عابر سبيل، أو غريب زائر، ذلك ترجمة لدعوة الشريعة الإسلامية، ولطبائع العرب وسجاياهم الاجتماعية.

والحديث عن الكرم، وعن الضيافة وآدابها، لا يعدّ رصدًا لظاهرة مضت، أو بحثًا في مقومات وأخلاقيات قديمة، بل إن الحديث عن قيمة الكرم إعلاء لشأن القيمة واحتفاء بها، واستمتاعًا بالعيش والحياة مع سيرة الكرماء وفرسان العطاء، وتقديرًا للبيئة العربية التي علمت أصحابها أن يكونوا كرماء، وأن يعطوا في سخاء، وأن يكرموا الضيف ويحتفوا به، تحليًا بجواهر الأخلاق وتمسكًا بأصولها وجمالياتها.

ومن المعروف أن للكرم آثارًا هائلة في بناء المجتمع، وترابط أفراده، وهي آثار لا تعود على فرد بل تخص الجماعة، وتسهم في ربط المجتمع الإنساني ربطًا وثيقًا لا انفصام فيه، فالكرم قيمة تجمع ولا تفرّق، وتقرّب بين البشر ولا تبعّد، وتحبب ولا تنفرّ، وتصل من غير فصل، وتتودد في غير نفور، وتعمل على لمّ الشعث، ورأب الصدع، في دعوة إلى التسامح والمحبة، وإلى التراحم والتواصل.

والكرم هو الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه، وهو بذل ما ينبغي من مال فيما ينبغي، والسخاء سهولة الإنفاق، وتجنب اكتساب ما لا يُحمد، وهو الجود في غير حدود وضده البخل والتقتير.

إنه ينبغي الإفادة من تلك المادة الهائلة التي وردت في دواوين الشعراء العرب القدماء في احتفالهم بالكرم والضيافة، والاستهداء بالمنهج العلمي في دراسة الظاهرة ومناقشتها وتأصيلها، أملاً في التوثيق إلى ما تصبو إليه دراسات مكارم الأخلاق.

www.mtenback.com

الكرم لغة:

جاء في لسان العرب[1]: «الكريم من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والكريم اسم جامع لكل ما يُحمد، فالله عز وجلّ كريم حميد الفعال ورب العرش الكريم العظيم، والكرم نقيض اللؤم». وفي التنزيل العزيز آيات يستشهد بها صاحب اللسان، وقد تبعد قليلاً أو كثيراً عن معنى كرم العطاء وآداب الضيافة والبذل والسخاء في الإنفاق، ولكنها لا تبعد عن ذلك الإطار الأخلاقي، وعن المنظومة الإسلامية التي تستهدف مكارم الأخلاق وروائع القيم الإنسانية، لأن مادة كرم، تتداخل في دلالات يجمعها خيط واحد من المحاسن والفضائل، فقد يقصد بالكرم الحسن والكمال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[2]، أي حسن ما فيه، وقد يُعنى به الحمد لما فيه من البيان والهدى والعلم والحكمة، كقوله تعالى:﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[4] أي سهلاً لينًا، وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[5] أي كثيرًا، وقوله: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾[6] أي مدخلاً حسنًا وهو الجنة وقوله: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[7] أي العظيم، وقوله: ﴿فَإِنَّ

---

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د.ت)، مادة (كرم).

(2) سورة النمل: ٢٩.

(3) سورة الواقعة: ٧٧-٧٨.

(4) سورة الإسراء: ٢٣.

(5) سورة الأحزاب: ٣١.

(6) سورة النساء: ٣١.

(7) سورة المؤمنون: ١١٦.

www.mtenback.com

رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٨] أي عظيم مفضل. وهذه الطائفة من الدلالات والمعاني والكمال كلها صفات حميدة تنبعث من قيمة عظيمة. وقد لا تكون هي المقصودة بدرسنا، بيد أنها تعطي لمعنى الكرم معانٍ أخرى تزيده روعة وبهاء. وقد يعنى بها كرم الخلق وكرم المنبت وكرم الأصل والحسب.

ويؤكد بعض حديث الرسول الكريم تلك الدلالات الرائعة المتفرعة من أصل الكرم في قوله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق؛ لأنه أصبح له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل والرياسة في الدنيا والدين، فهو نبي ابن نبي ابن نبي رابع أربعة من النبوة»[٩].

ولا يبعد صاحب القاموس المحيط[١٠] عما ذهب إليه صاحب اللسان، ويذكر أن «الكرم ضد اللؤم، والكريم الواسع الخلق، والكريم الصفوح، ورجل مكرام أي مُكرم للناس، وله عليَّ كرامة، أي عزازة، وكَرَّم السحاب أي كثر ماؤه، والكريمان الحج والجهاد، ومنه «خير الناس مؤمن بين كريمين» وأبوان كريمان: مؤمنان، وكريمتك: أنفك، وكل جارحة شريفة، كالأذن واليد، والكريمتان: العينان، و﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾[١١] يعني كثيرًا، ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾[١٢] أي سهلاً لينًا.

ومن الواضح أن تلك المعاني التي تشترك مع الكرم في الدلالة مثل الجود والسخاء وغيرهما، تحقق معاني مادة كرم نفسها، وقد يفترق الجود أو السخاء بعض الشيء في بعض الفروق اللغوية الطفيفة مع مادة كرم، فقد يكون الكريم غير الجيد غير

---

[٨] سورة النمل: ٤٠.

[٩] أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب ١٩، حديث رقم: ٣٣٩٠.

[١٠] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، مادة كرم.

[١١] سورة الأحزاب: ٣١.

[١٢] سورة الإسراء: ٢٣.

www.mtenback.com

السخي، وقد يكون الفرق بين الصفات الثلاث طفيفًا ولكنه موجود، فقد يسخو بعضهم في العطاء وفي بذل المال، ويجود الآخر بما يملك، وهذا كريم في خلقه وفي سلوكه وفي عطائه وفي ماله وفي كل شيء.

وفي القاموس[١٣]: (الجود) والجيد ضد الرديء، وجاد يجود جودة أي صار جيدًا، وجاد وأجاد أتى بالجيد، وهو مجواد، والجواد: السخيّ، والسخية، ج: أجواد وأجاود وجُودٌ، واستجاده أي طلب جوده فأجاده درهمًا أعطاه إياه، وفرس جَواد، بين الجودة، والجَوْدُ: المطر الغزير، وجادت العين: كثر دمعها، وشاعر مجواد: مجيد.

وفي لسان العرب[١٤]: السخاوة والسخاء: الجود، والسخي الجواد، والجمع أسخياء وسخواء، وسخينا أي جُدْنا بأموالنا، ويقال: إن السخاء مأخوذ من السَّخو، وهو الموضع الذي يوسع تحت القدر ليتمكن الوقود لأن الصدر أيضًا يتسع للعطية.

الكرم اصطلاحًا:

والكرم في معانيه البعيدة عن بذل المال والجود في العطاء، يدل على أصل الأخلاق، وأطيب الأشياء، إنه لم يخرج عن دائرة الحسن وكل طيب. وقد أدلى بعض الأدباء والحكماء، والفلاسفة والمفسرين، بآرائهم في مفهوم الكرم، ويطالعنا في هذا ما جاء في بعض مصادر الأدب يروى أن معاوية سأل الحسن بن علي عن الكرم فقال: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والرأفة بالسائل مع البذل[١٥].

---

[١٣] الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة جود.

[١٤] ابن منظور: لسان العرب، مادة سخو.

[١٥] الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: د.محمد مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (١٩٨٦م)، ص١٧٣.

www.mtenback.com

وقال بعض الحكماء: «أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام، وسخاؤها بما يملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير من فروعه»[١٦].

ويعرّفه مؤلف كتاب الخلق الكامل[١٧] بأنه «جامع لمكارم الأخلاق»، فكل خصلة من خصال الخير وخلة من خلال البر، وسجية تضاف إلى محاسن الطبائع والأعراف واقعةٌ على اسم الكرم.

وفي كتاب «من أخلاق النبي»[١٨] أنه «الإنفاق عن رضا فيما يعظم نفعه وخطره، أو بذل المال في سبيل من سبل الخير والبر».

ويربط بعض المفسرين بين الجود والإيمان فيرى الراغب الأصبهاني[١٩] «أن الجود من الإيمان، وحق للجود أن يقترن بالإيمان فلا شيء أخص به وأشد مجانسة له منه، فمن صفة المؤمن انشراح الصدر، ولذلك قيل: كفى بالجود حمدًا أن اسمه مطلقًا لا يقع إلا في حمد، وكفى بالبخل ذمًا أن اسمه مطلقًا لا يقع إلا في ذم، والجواد يوصف بسعة الصدر للإنفاق، والبخيل يوصف بضيق الصدر للإمساك.

وفي السخاء يقول الراغب الأصبهاني [٢٠]: هو هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات، حصل معه البذل أو لم يحصل، وذلك خلق، ويقابله الشح، والجود بذلك المقتنى ويقابله البخل».

أما جاد المولى فيعرف السخاء بأنه: حال للنفس تدعو صاحبها إلى البذل في موطن العرف على قدر ما ينبغي، ويتفاوت السخاء بتفاوت الناس في مراتب الثروة،

---

[١٦] الأبشيهي: المستطرف، ص١٧٣.

[١٧] جاد المولى، محمد أحمد: الخلق الكامل، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص٢٦٠.

[١٨] الحوفي، محمد أحمد: من أخلاق النبي، دار نهضة مصر، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص٩٥.

[١٩] الراغب الأصبهاني، حسين بن محمد : الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٤١٢.

[٢٠] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

فليس الذي يعطيه صاحب الألف كالذي يعطي صاحب المائة فإن هما تساويا في الإعطاء عُدَّ الأول بخيلاً والثاني كريمًا[٢١].

ويفسر الجرجاني [٢٢] هذه المعاني فيرى أن الكرم هو الإعطاء بسهولة، والكريم هو من يوصل النفع بلا عوض. والكرم «هو إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن يهب المال لغرض جلبًا للنفع أو خلاصًا عن الذم فليس بكريم» [٢٣]، والجود عنده صفة هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا لعوض، فلو وهب واحد كتابه من غير أهله أو من أهله لغرض دنيوي أو أخروي لا يكون جوادًا»[٢٤].

ويفرّق القاضي عياض[٢٥]، بين المعاني الثلاثة فيقول: «الكرم الإنفاق بطيب النفس، وسموه هدية، وهو ضد النذالة، والسخاء سهولة الإنفاق، وتجنب اكتساب ما لا يحمد، والجود ضد التقتير».

ويقول أبو هلال العسكري [٢٦] في فضل العطاء على اليسر: «الجود إذا كان عن يسار وجدة، وإثراء وسعة، واجب لا يسع الإخلال به، ولا يحمل التقتير فيه، والمشاهد أن المرء إذا أمسك مع الكثرة، وبخل مع الثروة، تناوله اللوم من وجه، وانتزع إليه الذم من كل جانب، فهو المدفوع إلى السماحة، المحمول على الإنالة، ليبعد عن

---

[٢١] جاد المولى: الخلق الكامل، الجزء الرابع. ص٢٦٢.

[٢٢] الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد علي الحسيني: التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٩٨٧م)، ص١٩٢.

[٢٣] الجرجاني: التعريفات، ص١٩٣.

[٢٤] المصدر السابق، ص٨٤.

[٢٥] أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار المعارف، سوسة، تونس، (١٩٨٩م)، ج١، ص٨٥.

[٢٦] أبو هلال، العسكري: فضل العطاء على اليسر، حرره: محمود شاكر، مطبعة الشورى، القاهرة، (١٣٢٦هـ)، ص١٤.

www.mtenback.com

اللوم، وينزه عن الذم، وليس يدل بذله وإن جزل، وبرّه وإن كمل، على كرم أصلي، وسماح عنصري، كما يدل عليه جهد المقل، ومواساة المخلّ، ومن لم يعط من اليسير، لم يُعطِ من الكثير».

وقد يجمع هذه المعاني التعريف التالي:

«الكريم اسم جامع لصفات الإنفاق المشروع، والبذل للمال في سبل تعتز بها العرب، وتفاخر بفعلها، وتدّعي أن لها فيها القِدْحَ المُعَلّى، فجاءت شعب الكرم عندهم متعددة، ومتشابكة مع شؤون الحياة في الوقت نفسه، فإذا ذكر الكرم جاء معه إلى الخاطر ذكر الجود والسخاء والسماحة والفضل والضيافة، وكلها مما له علاقة بالعطاء، وإذهاب المال فيما يعود على المرء بالذكر الحسن، والثناء الجميل»[٢٧].

ومن الطبيعي أن ما وصل إليه هؤلاء المفكرون من تفسير لمعنى الكرم لا يخرج عن الدائرة المعروفة والحدود المعلومة التي وضعها فيه العربي، وقد أضافوا بعض الدلالات التي تقف مع ما ذهب إليه علماء اللغة، والحق أن الكرم صفة لا تعرّف تعريفًا محددًا، ولا توضع له حدود وأقيسة منطقية لا تتعداها، فهو سلوك يعرفه العربي بفطرته، بيد أن هذه التعريفات غير اللغوية قد وضعت له بعض الإضافات التي تتم جمال المفهوم ومنها:

ـ أن الكرم واجب في ميادين البر والخير، وتعاون في المشروع من البذل والإنفاق. وفي غير ذلك لا يكون كرمًا مع كون البذل والعطاء، بل يكون تحريضًا على الإثم والعدوان.

ـ الكرم في أعلى درجاته عطاء دون انتظار لعائد مادي دنيوي أو نفع معنوي فهو عطاء بلا عوض أو مقابل.

---

[٢٧] ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان: الضيافة وآدابها في الشعر العربي القديم، مطابع دار المعارف، مصر، ط١، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ص٥.

www.mtenback.com

ـــ يرتبط الكرم بالإيمان، ويرتبط أيضًا بمحاسن الأخلاق وكرم الطباع وجواهر الأشياء.

ـــ الكرم مع القليل لا يقل شأنه عن العطاء مع الكثير؛ فمن لم يعط على اليسير لم يعط مع الكثير.

ـــ للعرب السبق والريادة في ميدان الكرم، ولهم حق الفخر والتفاخر والاعتزاز بالدعوة إليه واتخاذه دستورًا لحياتهم الاجتماعية.

ـــ ويشترط في الكرم أن يصدر العطاء عن طيب نفس في سهولة وسخاء؛ حتى يعود على صاحبه بالخير والذكر الحسن.

والإسلام دين يدعو إلى البذل والعطاء، وينفّر من البخل والتقتير، فقد حبّب إلى المسلمين أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندّيّة، يسارعون إلى الإحسان، وينفقون في أوجه البر، وقد أكد ذلك ما ورد في آي الذكر الحكيم، في مواطن عديدة، تدعو إلى الكرم، وتبشر أصحابه، كما جاء في الحديث الشريف ما يُعلي من شأن الكرم وقدر الكرماء، ويؤصل خلق السخاء والعطاء، ويحث على الجود والبذل، فضلاً عما كان في كثير من الروايات والخطابات والأقاصيص في تاريخ العظماء من رجالات العرب، حتى بدا الكرم من أقوى العوامل التي تجذب الناس حول الكريم، وتلم الفئات والطوائف حول الساسة، وحول القادرين على العطاء، لما فيه من تجميع لأواصر الفرد العربي، وبناء متين راسخ لعلاقات المجتمع وإذابة الفوارق بين طبقاته.

الكرم في الإرث العربي الإسلامي:

ما يقرب من خمسين موضعًا في القرآن الكريم وردت فيها مادة الكرم بمدلولات متنوعة، ليست بعيدة أو منفصلة عن الإطار الحسن الذي يضم كل القيم الإسلامية الخلقية، وإنها معان وصفات لأمور وهيئات تفيد أيما إفادة في التوظيف اللغوي والتوسل الدلالي لمعنى المادة اللغوية «كرم». غير أن هناك آيات أخرى تدور حول المعنى المقصود من الدراسة.

www.mtenback.com

أما عن الجانب الأول فقد وردت مادة كرم في القرآن الكريم في سبعة وأربعين موضعًا[٢٨].

وتبلغ الآيات ما يقرب من ثلاث وعشرين يرد فيها لفظ «كريم» فتصف ما علا أمره وارتفع شأنه، وعظم وجل مقداره بهذه الصيغة «رزق كريم» و«ملك كريم» و«رب العرش الكريم» و «من كل زوج كريم» و «أجر كريم» و «رسول كريم» و«كتاب كريم»، «قرآن كريم».

وبعد أن أكدت الآيات في إطارها الأول أن مشتقات الكرم يتوسل بها في حمد وفيما هو خير، ويتصف بها ما جل شأنه وعظم قدره إعلاءً لتلك القيمة وتأصيلاً لها، وقد يضفي ذلك على معنى الكرم الحسن والجمال، أما عن الآيات في شقها الثاني فنراها تحث على العطاء، وتدعو إلى الإنفاق، وتبشّر أهل السخاء، وتحذّر من البخل والإمساك، كما أن هذه الآيات مع كثرتها تخلو من التكرير أو الترديد، ومن الإعادة في غير تجديد، بل توجّه في كثرتها إلى أهداف عليا، هي التأكيد على معنى الكرم، وبيان أهميته وتحديد مشروعيته، وتضيف كل آية معنى جديداً يرسخ ملامح هذه القيمة الأخلاقية ويوضح أثرها في الحياة وثوابها في الآخرة، وليس هناك أدنى مجال للمقارنة بين ما جاء في النص القرآني من معانٍ وبين ما جاء في غيره من (نصوص أدبية)؛ إذ إن الأخيرة تمجّد الأشخاص، وتدعو إلى الإقتداء بهم، وتشيد بحسن الذكر، غير أنها لا توضح المشروعية ولا تضع المثاليات الواجبة لاستكمال تلك القيمة الهائلة من القيم الإسلامية، ولا تخرج كتابات المفسرين ورواياتهم عما جاء ذكره وورد في أي الذكر الحكيم.

يقول تعالى في حثه على التحلّي بالكرم خلقًا، وعلى البذل والإنفاق من طيب ما كُسب:

---

[٢٨] عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، مادة (كرم).

www.mtenback.com

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ. الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[29].

ويقول سبحانه موضحًا سبيل الإنفاق والجزاء، وأن الله يعلم به:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[30].

وربما لم تحظ قيمة من مكارم الأخلاق بما حظيت به قيمة الكرم في جزائها، فقد وصل جزاء الإحسان بعشرة أمثاله، بل وصل جزاء الإنفاق إلى سبعمائة ضعف، وقد يزيد على ذلك، كما جاء في قوله تعالى مؤصلاً تلك القيمة، دافعًا إلى التحلي بها طمعًا في رضوان الله وفي جزائه المتضاعف:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[31].

كما توضح الآيات، أيضًا، وقت الكرم، وزمن الإنفاق، وتبشر المنفقين بأن أجرهم لا يضيع، بل هو عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[32].

---

[29] سورة البقرة: الآيات ٢٦٧-٢٦٨.

[30] سورة آل عمران: ٩٢.

[31] سورة البقرة: ٢٦١.

[32] سورة البقرة: ٢٧٤.

www.mtenback.com

وتوضح بعض الآيات من يستحق الكرم وأوجه الإنفاق، وأن للكـــرم حدودًا، فلا تنصح بالسفه أو التبذير لأن المبذرين كانوا إخوة للشياطين الكافرين، تحذيرًا مـــن الإنفاق بلا حدود أو الإنفاق في الأوجه غير المشروعة التي لم تأت بها الآيات:

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا.إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[٣٣].

والإنفاق دائمًا في سبيل الله، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه،والله في غنى عن العالمين، وفي مقدوره أن يستبدل هؤلاء القوم البخلاء الذين لا يعرفون الكـــرم بقـــوم غيرهم لا يحق لهم أن يكونوا أحياءً، تقديرًا من الله سبحانه لقيمة الكرم وأهميته، بـــل ضرورته في المجتمع الإنساني.

قال سبحانه:

﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٣٤].

والإنسان الحريص مجبول على حب المال حتى لو كان له ما في الأرض جميعًا، لما طوعت له نفسه أن ينفق منه بسعة:

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾[٣٥].

---

[٣٣] سورة الإسراء: الآيات ٢٦- ٢٧.

[٣٤] سورة محمد: ٣٨.

[٣٥] سورة الإسراء: ١٠٠.

www.mtenback.com

وتوضح الآيات أن الفوز بالخير في الدنيا والآخرة لا يصل إليه إلا من دفع عن نفسه صفة البخل، وأن الخير لا يعود إلا على أصحاب السخاء والعطاء:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣٦].

كما توضح الآيات أن الكرم يغسل الذنوب، ويمحو الخطايا، كما توضح فضيلة الإنفاق ومشروعيته في السر والعلن:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣٨].

إن الكرماء المنفقين أموالهم في السر والعلن، لهم البشرى، وتصلي عليهم الملائكة، وتربو أموالهم، أما الكانزون الأموال فلا ينتظرون إلا حسرة وضياعًا، فهم لا يبقون مع المال ولا يخلد المال معهم: «المال عارية انتقل إلينا من غيرنا»[٣٩].

وتوضح الآيات أن المال من النعم التي يمتحن فيها الإنسان، وأنه فتنة يفتن بها البشر.

---

[٣٦] سورة التغابن: ١٦.

[٣٧] سورة البقرة: ٢٧١.

[٣٨] سورة التغابن: الآيات ١٧-١٨.

[٣٩] محمد الغزالي: خلق المسلم، قطر، الطبعة التاسعة، ١٩٧٤، ص١٢٦.

www.mtenback.com

والكرم من آداب العرب الاجتماعية في الجاهلية والإسلام، دعت إليه ظروف الحياة، وحتمته طبيعة البيئة، ولم يكن عنه غنى أو بديل، وجاء الإسلام فأقرّه، ونادى به، وبشّر أصحابه، ويصدر الجود عن نفس الكريم خالصًا لله، ويكون عن سعة إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وتزداد قيمة العطاء والبذل حين يبذل الإنسان ماله في وجوه الخير، وليس في حوزته إلا القليل من المال، وفي ذلك يقول الشاعر المقنّع الكندي[٤٠]:

لَيْسَ العَطَاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ

والتقتير فرع من البخل، وهو ضد الجود والبذل، ويخرج عن دائرة الكرم، وليس من شيم الكرماء. وقد تعرضت بعض آيات القرآن الكريم للمقترين والتقتير وحددت معالم الكرم ومشروعيته، حتى أضحى دستورًا عند العرب فصاروا يعلمون أولادهم هذه القيم، ويجعلونها أساسًا للتحكم والولاية.

وقد حفل كثير من مصادر الأدب والتاريخ بهذه الوصايا والدروس النافعة التي يلقنها الآباء للأبناء، لاسيما إذا كان الآباء مسؤلين أو خلفاء وولاة، وإذا كان الأبناء يتقلدون المناصب المهمة التي تسوس أو تقود الشعوب. فهذا القائد العربي المعروف الطاهر بن الحسين يوصي ابنه عبد الله، حين ولاّه المأمون الرقة ومصر وما بينهما، فيجعل وصيته منصبة في معظمها على البعد عن الاكتناز والشح والبخل، والدعوة إلى البذل والجود والإنفاق، وقد وردت هذه الوصية في مقدمة ابن خلدون [٤١]:

«.. واعلم أن الأموال إذا اكتنزت وادخرت في الخزائن لا تنمو، وإذا كانت في صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف الأذيّة عنهم نمت وزكت، وليكن كنز خزائنك

---

[٤٠] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢، ص٧٤.

[٤١] ابن خلدون: مقدمة بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ص٢٦١-٢٦٢.

www.mtenback.com

تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله. ولا تدخل في مشورتك أهل الرفه والبخل، ولا تسمعنَّ لهم قولاً، فإن ضررهم أكثر من نفعهم، وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت به أمر رعيتك من الشح، واعلم أنك إذا كنت حريصًا كنت قليل العطية، وإذا كنت كذلك لم يستقم أمرك إلا قليلاً، فسهّل طريق الجود بالحق، واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظًا ونصيبًا وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد، فأعد لنفسك خلقًا وارضَ به عملاً ومذهبًا».

ولعل في تقديم ابن خلدون لوصية طاهر بن الحسين لولده ما يوضح أهمية العطاء في تسيير أمور الرعايا، فيقول ابن خلدون:

«إن طاهر بن الحسين يوصي ابنه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية. بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة»[٤٢].

وينهى الإسلام عن المبالغة في الكرم، ويحذر من الإنفاق الذي يصل إلى حد الإسراف والتبذير: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٤٣].

قال تعالى في صفة عباد الرحمن المصطفين الأخيار: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[٤٤].

وتوضح الآيات ــ أيضًا ــ أن الكرم تجارة لن تبور، وأن جزاء المنفقين أموالهم جنة عرضها السموات والأرض، فضلاً عن مغفرة من ربهم. كما أن الله يحب المحسنين.

---

[٤٢] مقدمة ابن خلدون: ٢٥٩.

[٤٣] سورة الإسراء: ٢٩.

[٤٤] سورة الفرقان: ٦٧.

www.mtenback.com

فالآيات القرآنية الكريمة، تعالج كل آية منها جزئية من عالم الكرم، ولا تكرر المعنى أو تأتي به ثانية إلا في صياغة جمالية فنية أخرى للتأكيد وإبراز القيمة مع إضافة جزئية جديدة، وأن كل المصادر الأدبية من تاريخ أو شعر أو نثر أو حكايات أو أمثال وحكم إنما تدور حول قضية واحدة من قضايا الكرم وهي الإشادة بأصحابه والدعوة إلى الاقتداء بسيرهم، وإضفاء القيم الاجتماعية التي تدعو إلى تقدير أولئك الكرماء، وكثيراً ما يسبغ الشعراء على الممدوحين الكرماء أردية المديح والثناء، ولكن هذه المادة الأدبية في المديح لا توضح مشروعية الكرم، ولا تحدّد معالمه، ولا تجعل منه دستوراً للحياة الاجتماعية التي أوضحتها الآيات القرآنية الكريمة وأقرتها، ومما أقرته تلك الآيات:

أن الإنفاق واجب فيما طاب من الكسب محرم على الخبيث منه.

أن الإنفاق واجب مما يحبه الإنسان حتى ينال البر.

أن الكرم تجارة لن تبور، وجزاؤه أضعاف مضاعفة في الدنيا والآخرة قد تصل إلى جنة عرضها السموات والأرض ومغفرة من ربهم.

أن المال فتنة يجب على صاحبه أن يحذره وأن يوجهه في أوجه الخير.

أن العطاء في السر والعلانية ولكل فضله ومشروعيته.

أن الفقر والفحشاء والشيطان مع البخل والتقتير والعسر، وأن البر والخير مع العطاء والبذل والإنفاق.

أن الله سبحانه قادر على أن يستبدل يقوم الشح والتقتير آخرين كرماء باذلين أموالهم في سبيل الله وفي ميادين الخير والبر والتقوى.

كما طالعتنا الآيات بدعوة الإسلام إلى الوسطية والاعتدال، في منزلة لا تصل إلى السفه والتبذير، وهناك آيات أخرى كثيرة قد ترتبط بكرم الضيافة وآدابها، وأخرى

www.mtenback.com

ترسم للإسلام والمسلمين الحياة الهانئة السعيدة الرغدة التي تقوم على الود والتواصل والتراحم والتكافل، فالمال مال الله، ينفقه الكريم في أوجه الخير، حتى يحظى بالثواب الطيب والجزاء الحسن.

كان للدعوة إلى تحلي النفس بالكرم وسجاياه، نصيبها الذي يناسب أهميتها في هدي النبوة، وما كانت توجيهات النبي الكريم إلا صورة تعكس تطبيقه نفسه لما يدعو الناس إليه، فكان قدوة وهدايةً للناس، بقوله وفعله.

وقد وصفت السيدة عائشة الرسول ﷺ فيما وصفته به فقالت:

«كان كرجل من رجالكم، كان كأحسن الناس خلقًا، وأكرمهم كرمًا، وما سئل رسول الله شيئًا قط فقال: لا»[٤٥].

والكرم بالأصل صفة من صفات الله سبحانه أمر نبيّه والمسلمين بالتخلق بها. ففي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[٤٦].

وقد ورد الحث على الإنفاق في الحديث النبوي، منها ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[٤٧].

---

[٤٥] رواه البخاري في صحيحه وكذا مسلم والترمذي..

[٤٦] أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب ٢٣، حديث رقم ١٤٨٨.

[٤٧] ابن حجر: فتح الباري، ج٣، ص٣٥٧.

www.mtenback.com

كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان[٤٨] وكان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة[٤٩].

ويكفي بيانًا لمنزلة الكرم أنه لا يوصف به إلا كل من سما قدره، وشرفت منزلته، وعلت همته، وربت قيمته، ومنه جاء التكريم والإكرام[٥٠].

وإذا نظرنا إلى الكرم في اتساع معناه، ورحابة مفهومه، وثراء دلالته، خرجنا من دائرة الكرم بالمال وبذل المادة إلى دوائر أخرى أكثر رحابة وأعمق قيمة، لا تقل عن كرم المال وإن كانت توازيه، وتفضله أحيانًا، فهناك كرم الخلق، وكرم العفو، وكرم الصنع، وكرم المعاملة، وكرم التضحية، وكرم الإيثار الذي قد يعرّض صاحبه للهلاك فداء من آثره، إنه كرم النفس، وكرم الروح، ومما لا شك فيه أن النفس أغلى من المال، وبذل الروح أغلى من بذل المادة، ولا يمكن أن يكون الإنسان على هذه الدرجة من التضحية. والعطاء إلا إذا كان كريمًا جوادًا. فهي صفات لا تليق بالبخيل أو الذي يمسك ماله، وعليه فإن الكرم بالمال والعطاء أساس وأصل وجوهر، تتفرع منه كل هذه القيم الجميلة والمكارم النبيلة.

وتحفل كتب الحديث، ومصادر السيرة بالأخبار التي تؤكد كرم النبي ﷺ، كان الكرم عنده فطرة وتربية سماوية، يهدف به إلى إسعاد مجتمع الإسلام.

وقد جاء في الحديث: «كان النبي ﷺ لا يدّخر شيئًا لغد» [٥١].

وورد أنه: «ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثًا تباعًا من خُبز البر حتى فارق الدنيا»[٥٢].

---

[٤٨] البخاري: الجامع الصحيح، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.

[٤٩] مسلم: صحيح مسلم، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

[٥٠] حلبي، سمير حسن: الكرم والجود والسخاء، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ص٥٢.

[٥١] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الزهد، باب ٣٨، حديث ٢٣٦٢.

[٥٢] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الزهد، باب ٣٨، حديث رقم ٢٣٥٨.

www.mtenback.com

تشكل مادة الحكم والأمثال الشعبية حيزًا لا بأس به في مادة الكرم، تؤكد قيمة هذه القيمة وأثرها في الحياة الاجتماعية، ودورها الحي الفعال في بناء المجتمع الإنساني، فقد صاغ الإنسان العربي دستور الحياة للأجيال اللاحقة في هيئة حكمة أحيانًا، ومن الحكم المشهورة التي أبدعها البلغاء والحكماء في عصور العربية الأولى، تدعو إلى الكرم، وتمدح الكرماء، وتذم البخل، وتشهّر بالبخلاء.

والعرب يتواصون بالكرم، وهو من أشرف الأخلاق التي تحقق طيب الثناء وحسن الذكر في الأولين والآخرين، وقد روى بعض الحكماء أقوالاً تؤكد الكرم وتدعو إليه، وترى أن البخل قرين بالفقر، فهذا حكيم من حكماء العرب، أكثم بن صيفي يقول في وصية له يرسم فيها معالم الأخلاق ومكارمها:

«ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر»[٥٣].

وهذا ذو الإصبع العدواني، في وصيته، لولده أسيد يقول: «واسمح بمالك، واعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وصُنْ وجهك عن مسالة أحد شيئًا»[٥٤].

ومن أشهر الأمثال العربية في الكرم قولهم: «أجود من حاتم»

وحاتم الطائي، شاعر جاهلي، معروف بالكرم، وله ديوان شعر يمدح فيه الكرم والكرماء، ويصف فيه كرمه وترحيبه بأضيافه، وقال عنه الرسول ﷺ، إنه أراد أمرًا فأدركه، يعني الذكر الحسن، كما قال عنه إنه كان يحب مكارم الأخلاق..

---

[٥٣] موسى، محمد يوسف: الأخلاق في الإسلام، بيروت، ط٢، (١٩٩١م)، ص١٤.

[٥٤] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وقد اشترط في الكرم التوسط والاعتدال، والبعد عن الغلو والإسراف، فالفضيلة وسط بين طرفين كلاهما غير محبوب، وهذه الوسطية هي التي قامت عليها فلسفة الأخلاق.

ولصاحب كتاب عيون الأخبار[٥٥]، فصل عن التوسط في الأشياء، وما يكره من التقصير فيها والغلو، فخير الأمور الوسط، وأن هذا الدين يُسر، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه، وأفضل العمل أدومه وإن قل.

وفي التوسط والاعتدال، يقول الإمام علي رضي الله عنه، «خير هذه الأمة النمط الأوسط، يرجع إليهم الغالي، ويلحق بهم التالي، وكان يقال: دين الله بين المقصر والغالي، ويقول أحدهم لابنه:

«يا بني الحسنة بين السّيئتين، يعني بين الإفراط والتقصير، وخير الأمور أوساطها»[٥٦].

ويقول الله حيث يصف عباده المؤمنين:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٥٧].

وفي المحاسن والأضداد للجاحظ، حكايات وأخبار، تحكي عن الجود والكرم، وتروي عن السخاء والعطاء، تأخذ شكل الحكمة، وتتزيا بزي المثل، تدور بين الأجيال مشكلة تراثهم الفكري، وموروثهم الاجتماعي، تأكيدًا لقيمة الكرم، وإعلاءً لشأنها، منها ما روي عن الشعبي، قال:

قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: «لو كان البخل قميصًا ما لبسته، أو طريقًا ما سلكته»[٥٨].

---

[٥٥] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ص١١٢.

[٥٦] موسى: الأخلاق في الإسلام، ص٢٠.

[٥٧] سورة الفرقان: ٦٧.

[٥٨] الجاحظ، عمرو بن بحر: المحاسن الأضداد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص٨٢.

www.mtenback.com

وكانت تقول: «البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة».

وقال بعض الحكماء: «ثواب الجود خلف ومحبة، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمة».

ويشترك في هذه الحكم والأمثال العرب وغير العرب من العجم، فتروى حكم للفرس وغيرهم، كما أن للعرب نصيبًا عظيمًا من القول في الكرم في الجاهلية:

ومن أقوال بعض الحكماء: بلغ الجود من قام بالمجهود.

ـ قال المأمون: الجود بذل الموجود، والبخل سوء ظن بالمعبود.

وكان حاتم جوادًا شاعرًا، إذا نزل منزلاً عرف منزله، وكان مظفرًا إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح سبق وإذا أسر أطلق وكان أقسم ألا يقتل واحد أمه، قيل: ولما بلغ حاتمًا قول المتلمس الضبعي[٥٩]:

قَلِيْلُ المَالِ تُصْلِحُهُ فَيُبْقَى ... وَلاَ يُبْقَى الكَثِيْرُ عَلَى الفَسَادِ

وَ حِفْظُ المَالِ أَيْسَرُ مَنْ بَغَاهُ ... وَضَرْبٌ فِي البِلاَدِ بِغَيْرِ زَادِ

فقال: ماله قطع الله لسانه، يحرّض الناس على البخل ! أفلا قال كما قال حاتم الطائي وأورد في الأبيات السابقة.

قيمة الكرم في البيئة العربية:

عُرف العرب بالكرم، بل عُرف الكرم بهم، وكأنما هذه القيمة أضحت من معالم الشخصية العربية، ومن أبرز مكوناتها الاجتماعية، وقد حفل التراث الإسلامي والموروث الأدبي بقيمة الكرم أيما احتفال، كما اهتم بمكارم الأخلاق الأخرى، بيد أن الكرم حظي بمادة أكثر رحابة واتساعًا من غيرها من القيم وذلك لتعرف العرب على

---

[٥٩] المتلمس الضبعي: ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص١٧٢.

www.mtenback.com

تلك القيمة من أيام الجاهلية، ولكون الحاجة إليها ماسة وضرورية، ولا يمكن الاستغناء عنها، وكأنما البيئة العربية والطبيعية قد فرضتها فرضًا، وجعلتها أمرًا محتومًا، نظرًا لبعض العوامل الجغرافية والظروف المناخية، والمظاهر الطبيعية، التي جعلت من العرب كرماء يرحبون بالضيف، ويتسابقون في تكريمه، ويَتفنَّنون في استدعائه واستضافته، ويزخر الأدب العربي في شعره ونثره بالقصائد والأبيات، والحكايات والطرائف، والأخبار والنوادر التي تشكل حجمًا عظيمًا تفخر به المكتبة العربية فيما تفخر به من تراث القيم الإنسانية.

والدرس الأدبي الحديث، لا يغفل دراسة القيم الإنسانية في معزل عن التعرف على البيئة ومظاهرها وعوالمها الخاصة.

وقد يأخذ الباحثون مع عنصر البيئة على اتساعه، فتشمل البيئة الطبيعية أو الجغرافية والمناخية، وتشمل أيضًا البيئة الحضارية والتاريخية والثقافية والاجتماعية والمؤثرات الداخلية من بيئات مجاورة أخرى كالتجاور والامتزاج، وغيرها من المثيرات الثقافية التي تشكل في النهاية بيئة اجتماعية كاملة المعالم.

ومن الطبيعي أن للبيئة أثرًا لا ينكر في تجسيد القيمة أو الظاهرة، التي يعرف بها أهلها، وإذا كان الكرم من أبرز تلك القيم وأظهرها، كان من الضروري التعرض للبحث عن المؤثرات والمثيرات، وعن الدوافع التي من شأنها أن يكون الكرم ظاهرة اجتماعية سلوكية عربية إسلامية، وقيمة بارزة يعتز بها العرب على مر العصور والأجيال.

وأول هذه المؤثرات المشكلة لهذه القيمة عنصر البيئة ولذا يعتمد الباحث على عنصر البيئة على اتساعه، فيهتم بالجانب الجغرافي وطبيعة البادية، وظروف الصحراء، وتعود العرب على العطاء والكرم والضيافة والترحيب بالضيف،حتى بعد أن انتشرت الحضارة، وعمّ العمران، كما أن للبيئة الثقافية أثرها في تكوين ذلك المناخ الفكري، والمحصلة الأخلاقية التي غذاها روح العرب من الفداء وحب العطاء، فضلاً عن معالم

www.mtenback.com

تلك الشخصية العربية التي بهرت شعوب العالم أجمع بما حملت من مُثُل وقيم عليا تعجز الأجناس البشرية الأخرى عن اللحاق بها فكريًا وأخلاقيًا، لاعتمادها في أساسها وجوهرها على شريعة الإسلام السمحة. ذلك الدين القيّم الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى التراحم والتواصل والتكافل الاجتماعي.

لذا كان لزامًا أن نبحث في بعض مظاهر كرم العرب المتأثر بالبيئة مثل ظاهرة «الاستنباح » و«نار القرى» وهي من أبرز ملامح الاستضافة العربية، وقد لا يقتصر الأمر على إطعام الضيف فحسب، بل يتعداه إلى العطاء والمنح، كما يبحث - أيضًا - في دواعي الكرم وأسبابه، وكون هذا الكرم أقرب إلى الطبيعة العربية من غيرها، مما دفع بعض الباحثين إلى أن يُطلق على الرجل العربي السيد العربي.

البيئة العربية وحتمية الكرم:

إن طبيعة البيئة العربية، وما تعرف به البادية من سمات جغرافية تعود إلى المناخ، ويكون من مظاهرها الشظف أحيانًا.واعتمادهم في البادية - قبل الإسلام - على حياة الارتحال بحثًا عن العشب والكلأ حتى يرعى السوام من الإبل، وقد نجح الشعر العربي في العصر الجاهلي في تصوير هذه الحياة، كما تغنى بسائر القيم العربية، ومنها الشجاعة والكرم.

وتقترن كل قيمة من هاتين القيمتين بالأخرى، لا تبعد عنها أو تنفصل، فقد أملت طبيعة الحياة في البادية على أهلها أن يكونوا شجعانًا وكرماء، مطعمين لغيرهم من عابري السبيل، إلى أن جاء الإسلام فأرسى القواعد، وحافظ على العادات النبيلة، وحارب الذميم منها، وكان من القيم التي حافظ عليها ودعا إليها الكرم.

وقد برزت أسباب عديدة أدت إلى ذيوع تلك القيمة، كما يرى مؤلف كتاب الضيافة وآدابها: «أن الكرم ألصق تلك الخلال، وأقرب قبولاً لدى سكان الصحراء، لما تتصف به حياة ساكنيها من شظف، فتضطرهم طبيعتها إلى الانتقال الطارئ، والرحلة

www.mtenback.com

التي لا يستطيع المسافر تحديد أمد لها، ولا يتوقع لها نهاية، وطبيعة الجزيرة هي عامل من عوامل المهالك. يتعرض المسافرون فيها للعوز والحاجة إلى قوت اليوم، وما يقيم صلب الجائع لساعات فيضطر لطلب القوت وإلا هلك» [٦٠].

ويضيف الباحث «أن جزيرة العرب أرض غير ذات زرع، وهي صحراء يغلب على حياة سكانها الارتحال والانتقال، وطبيعتها قاسية، ومناخها صحراوي، قليل الخصوبة »[٦١] ولذا فقد كان الكرم ضرورة حتمية واستجابة فعلية لطبيعة البيئة العربية.

ويؤكد هذا العامل البيئي باحث آخر في دراسة له حول الكرم والجود والسخاء، فيرى أن الكرم يرجع إلى «طبيعة الحياة العربية في المجتمع البدوي القديم، الذي كان دائم الظعن والترحال فراراً من الجدب والجفاف، وبحثًا عن موارد الماء، ومواطن الكلأ والعشب» [٦٢]. حتى صار الكرم من دعائم القيم التي أسهمت الحياة الطبيعية في حال قسوتها في تأصيلها.

ويقول الحوفي: لم يشغف العرب في الجاهلية والإسلام بأكثر من شغفهم بالشجاعة والكرم، فكان الأمراء والملوك أشد ما يكونون حرصًا على أن يذيع في الناس كرمهم وشجاعتهم،وكان شعراؤهم يشيدون بفعالهم، ويختصون هاتين الفضيلتين بالتنويه، محقين حينًا ومبطلين حينًا، ومبالغين أحيانًا» [٦٣].

ويعزو بعض الباحثين حب العرب الكرم ودعوتهم إليه إلى حب التفاخر والتباهي، وتمجيد فعال الآباء، وتخليد خصال الأجداد، فكان الكرم كما كانت

---

[٦٠] ابن تنباك: الضيافة وآدابها، ص٨.

[٦١] المصدر السابق، ص١٩.

[٦٢] حلبي: الكرم والجود والسخاء، ص٢٠.

[٦٣] الحوفي: من أخلاق النبي، ص١٩.

www.mtenback.com

الشجاعة من تلك الخصال التي تباروا في أشعارهم في التفاخر بها والتباهي. «فأحب العربي أن يرتبط ذكره بما أحبه الناس من تلك الخلال، وكان الكرم أكثرها تأثيرًا في النفوس، وأقربها إلى وجدان ذلك المجتمع، لما ارتبط به من الإيثار وعلو الهمة، ولما يؤدي إليه من الأمن والرضا، والرفعة والسيادة والشرف في القبيلة وبين أحياء العرب»[٦٤].

ويصل طه حسين إلى أبعد ما وصلت إليه هذه الأسباب في تعليلها الكرم ويرى أن الكرم العربي كان أثرًا من آثار «الحرب وانتشار الفقر والبؤس في البلاد فقد قلّ الغذاء، وعزّ الطعام، فأحسّوا الجوع ينشب أنيابه بين أحشائهم ويكاد يفتك بهم، وبخاصة إذا كانوا مسافرين أو عابري سبيل، فقدروا معنى الإنسانية الحقيقية بتقديم ما يحفظ على الإنسان حياته، أو يسد رمقه أو يروي غلته، ولذلك عظموا الكرم وإطعام الطعام، ووصفوا بالكرم عظماء القوم، ومدحوا به، وكان الكرم في مقدمة الفضائل التي يحب العربي أن يتحلى بها» [٦٥].

وفي المستطرف [٦٦] أن العرب حين أحبوا الكرم واعتقدوا به خلقًا وسلوكًا، اتخذوا له رموزًا وإشارات، فكانت تسمي الكلب داعي الضمير، ومتمم النعم، ومشيد الذكر، لما يجلب من الأضياف بنباحه، وكانوا إذا اشتد البرد، وهبّت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حول الحي، وربطوها إلى العتمة لتستوحش فتنبح، فتهدي الضال، وتأتي الأضياف على نباحها.

ولا نعجب من مبالغة الشعراء في مدح الكرماء،حين ندرك طبيعة الحياة الصحراوية، وما عرفت به من قسوة «ولو أدرك انقطاع سكانها في فجاج واسعة من

---

[٦٤] حلمي: الكرم والجود والسخاء، ص٢٠.

[٦٥] طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، ص٦٨-٦٩.

[٦٦] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ص١٨٤.

www.mtenback.com

الأرض لا تجود بالكثير من الخير، وقد لا تجود بشيء في بعض الظروف، فإنه يدرك أهمية القرى، وما يترتب على ذلك من مبالغة مقبولة، فهم يعيشون الكفاف في الصحراء القاحلة، وليسوا في بيئات الخصب وضفاف الأنهار»[٦٧].

وقد صور بعض الشعراء ما أصاب بعض سكان البادية من جدب وقحط، جعل الكرم ضرورة حتمية، فلم يكن أمرًا للتفاخر والتباهي كما ظن بعض الباحثين، ولم يكن أمرًا للتسابق والتنافس على المجد الاجتماعي، إنما كان في معظم أحواله ضرورة لا مفر منها، فالشاعر يحدد زمن الجود في وقت الشدة حتى إن بعض أهل البادية «يلجأ إلى أكل الأشجار وحشائش الأرض حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة، فإذا جادوا في هذه الظروف حق لهم أن يفخروا بجودهم» [٦٨].

وقد صور هذه الحالة، وصاغ هذه المعاني، الشاعر حاجز بن عوف الأزدي حين وصف شدة القحط وانعدام الخصب، فقال[٦٩]:

سَلِي عَنِّي إِذَا اغْبَرَّتْ جُمَادَى ... وَكَانَ طَعَامُ ضَيْفِهِمُ الثُّمَامَا

وكذلك نظم في هذا المعنى الشاعر عمرو بن أحمد الباهلي فقد امتدح الكرم في زمن الشدة، فقال[٧٠]:

غَطَارِفُ لا يَصُدُّ الضَّيْفُ عَنْهُمْ ... إِذَا مَا طَلَّقَ البَرِمُ العِيَالا

وهذا شاعر آخر، وهو شبيب بن البرصاء يصور قسوة الطبيعة ويواجه الجوع والخوف، فيقول[٧١]:

---

[٦٧] ابن تنباك: الضيافة وآدابها، ص٥٢.

[٦٨] المصدر السابق، ص٥٣.

[٦٩] الجبوري، يحيى: قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٨٣.

[٧٠] الباهلي، عمرو بن أحمد: ديوانه، عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص١٣١.

[٧١] القيسي، نوري حمودة: شعراء أمويون، عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٢٢٤.

www.mtenback.com

لَقَـدْ عَلِمَـتْ أُمُّ الصَّبِيِّيْـنِ أَنَّنِـي ... إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَـرُوْجُ
وَأَنِّي لأُغْلِي اللَّحْـمَ نَيْئًـا وَأَنَّنِـي ... لِمَمَّنْ يُهِينُ اللَّحْـمَ وَهْـوَ نَضِيْـجُ

ويرى الأخطل الأموي، أن ليالي الشتاء الباردة، من مستوجبات الكرم في البيئة العربية، فيصور هذا المعنى في قوله[٧٢]:

فَجَـاءَ وَقَـدْ بَلَّـتْ عَلَيْـهِ ثِيَابَـهُ ... سَحَابَةُ مُسْوَدٍّ مِـنَ اللَّيْـلِ أَظْلَمَـا
وَفِي لَيْلَةٍ مَا يَنْبَحُ الكَلْـبُ ضَيْفَهَـا ... إِذَا نُبِّـهَ المَبْلُـودُ فِيهَـا تَغَمْغَمَـا

هذا يؤكد أن الكرم العربي يرتبط في المقام الأول بظروف البيئة التي نشأ بهـا، وتمكن فيها، وأصبح من معالمها الأخلاقية، والذي يتأمّل العصر والظرف الاجتمـاعي الملابس له، يرى حتمية هذا الخلق وضرورته للعرب، ولا يقاس الكرم بكمية العطـاء، وربما بذل شيء بسيط في أعين الآخرين يجعل صاحبه من أجود الأجواد، ولـو كـان شربة ماء.

ويسجل الشعر العربي، حتمية الكرم، وضرورة وجوده إزاء قسـوة الحيـاة، وصراع الإنسان معها، ولعل قصيدة الحطيئة الشهيرة، وكذلك قصيدة الراعي النميري، من القصائد التي تصور قسوة البيئة العربية، وتؤكد ضرورة الكرم.

أما قصيدة الحطيئة فقد جاء فيها[٧٣]:

وَطَاوِي ثَلاثٍ عَاصِبِ البَطْنِ مُرْمِـلٍ ... بِتَيْهَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَـاكِنٌ رَسْـمَا
أَخِي جَفْوَةٍ فِيْهِ مِنَ الأُنْـسِ وَحْشَـةٌ ... يَرَى البُؤْسَ فِيْهَا مِنْ شَرَاسَتِهِ نُعْمَـى
وَأَفْرَدَ فِي شِـعْبٍ عَجُـوزًا إِزَاءَهَـا ... ثَلاَثَـةُ أَشْـبَاحٍ تَخَـالُهُمُ بَهْمَـا

---

[٧٢] الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث التغلبي: ديوانه، صنعة السكري، تحقيق: فخر الدين قبـاوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٥٩٩.

[٧٣] الحطيئة، جرول بن أوس: ديوانه شرح ابن السكيت، دراسة: محمد مفيد، دار الكتب العلميـة، ط١، (١٤١٣هـ)، ص٣٣٧.

www.mtenback.com

حُفَاةٌ عُراةٌ مَا اغْتَـــذَوا خُـــبْزَ مَلَّـــةٍ ... وَلاَ عَرَفُوا لِلْبُرِّ مُذْ خُلِقُـــوا طَعْمَـــا

رَأَى شَبَحًا وَسْـــطَ الظَّـــلاَمِ فِرَاعَـــهُ ... فَلَمَّا رَأَى ضَيْفًـــا تَسَـــوَّرَ وَاهْتَمَّـــا

لقد رسم الحطيئة لوحة فنية رائعة، وأبرز الصحراء المجدبة الخالية وبها هؤلاء الحفاة العراة الجائعون، يبحثون عن مطعم أو منقذ من الهلاك جوعًا، حتى إنهم لم يعرفوا للخبز طعمًا، وكاد الجوع يفتك بهم، ولولا كرم الضيافة لهلك هؤلاء وقضوا نحبهم.

وليس هناك أبلغ من تلك اللوحة الطريفة البالغة التأثير التي رسمها الشاعر الراعي النميري، مصورًا فيها أزمة أخرى أساسها الجوع والحاجة، مؤكدًا حتمية الكرم، وضرورة الجود، ولكن هيهات فالجميع في أمس الحاجة، لكن لنر كيف يخرج الكريم من مأزق العوز والجوع، يقول الراعي النميري[٧٤]:

عَجِبْتُ مِنَ السَّارِيْنَ وَالرِّيـــحُ قَـــرَّةٌ ... إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَـــرْدَةَ وَالرَّحَـــى

إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي القِـــدَّ أَهْلُهَـــا ... وَقَدْ يُكْرَمُ الأَضْيَافُ وَالقِدُّ يُشْـــتَوَى

فَلَمَّـــا أَتَونَـــا وَاشْـــتَكَيْنَا إِلَيْهِـــمُ ... بَكَوْا وَكِلاَ الحَيَّيْنِ مِمَّـــا بِـــهِ بَكَـــى

بَكَى مُعْوِزٌ مِـــنْ أَنْ يُـــلاَمَ وَطَـــارِقٌ ... يَشُدُّ مِنَ الجُوعِ الإِزَارَ عَلَى الحَشَـــا

فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ سَـــمِيْنَةٍ ... وَوَطَّنْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَـــةِ وَالقِـــرَى

فَأَبْصَرْتُهَـــا كَوْمَـــاءَ ذَاتَ عَرِيكَـــةٍ ... هِجَانًا مِنَ اللاَّئِي تَمَتَّعْـــنَ بِـــالصُّوَى

فَأَوْمَـــأْتُ إِيْمَـــاءً خَفِيًّـــا لِحَبْـــتَرٍ ... وَلِلَّـــهِ عَيْنَـــا حَبْـــتَرٍ أَيُّمَـــا فَتًـــى

فَقُلْتُ لَـــهُ أَلْصِـــقْ بِـــأَيْبَسِ سَـــاقِهَا ... فَإِنْ يُجْبَرِ العُرْقُوبُ لاَ يَرْقَـــأِ النَّسَـــا

فَـــأَعْجَبَنِي مِـــنْ حَبْـــتَرٍ أَنَّ حَبْـــتَرًا ... مَضَى غَيْرَ مَنْكُودٍ وَمِنْصَلَـــهُ انْتَضَـــى

---

[٧٤] الراعي النميري: ديوانه، جمعه وحققه: راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بـــيروت، (١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، ص٣-٥.

www.mtenback.com

كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا ... جَلَوْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِيَ فَانْجَلَى

فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ ... لَنَا غَيْرُ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُصْطَلَى

وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةُ عِنْدَنَا ... بِسِتِّينَ أَنْقَتْهَا الأَخِلَّةُ وَالخَلاَ

فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً ... وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الحَيَا

وعن كون العرب أقرب الناس إلى السخاء من غيرهم من الأمم، عقد صاحب «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» فصلاً كبيرًا حول هذا المعنى، جمع فيه شعرًا كثيرًا لشعراء تغنوا فيه بالجود والسخاء، وأشار بعضهم إلى طبيعة البيئة العربية وكون الكرم ضرورة حتمية، وكأن الطبيعة الإنسانية ــ هي الأخرى ــ تعاونت مع عامل البيئة الجغرافية وطبيعة الحياة على أن يكون العربي كريمًا جوادًا سخيًا، لا يعرف البخل، ويرى الألوسي «أن ذلك لا يحتاج إلى بيان، ولا يعوز إلى إقامة دليل وبرهان، قد شهد لهم به الأوداء والأعداء، واعترف لهم الأقربون والبعداء، إذا ألم بهم ضيف حكموه على أنفسهم واستهانوا له بما حرموا منه أنفسهم» [٧٥].

ويذكر المقنع الكندي هذه السمة وهي الجود ويرى أن أعلى درجاتها حين يجود وما لديه قليل[٧٦]:

لَيْسَ العَطاء مِنَ الفُضُولِ سَمَاحَةً ... حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ

وهذا شاعر آخر يتهلل وجهه حين يقدم القرى، ويجود بما لديه ويسخو بأفضل الطعام وأجوده لضيفه[٧٧]:

---

[٧٥] الألوسي، السيد محمد شكري والبغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عُني بشرحه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٤٦.

[٧٦] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢، ص٢٧٤.

[٧٧] عبد الله بن رواحة: ديوانه، ص١٥٧.

www.mtenback.com

إلى رَجُـلٍ نَجْـدٍ يُبَـارِي بِجُـودِهِ شُمُوسَ الضُّحَى جُودًا وَمَجْدًا وَمَفْخَرا
وَفَارِسِ خَلْقِ اللهِ فِـي كُـلِّ غَـارَةٍ إِذَا لَبِسَ القُـومُ الحَدِيْـدَ المُسَـمَّرا
فَفَدًّى وَحَيَّـا ثُـمَ أَدْنَـى قِرَاهُـمُ فَلَـمْ يَقْرِهِـمْ إِلاَّ سَـمِيْنًا مُتَمَّـرا

وهذا الساعر على بن مقبل يدعو إلى الكرم، وخصوصًا في فصل الشـتاء، ممـا يضيف معلمًا آخر للكرم العربي يرتبط بفصل من الفصول، تقسو فيه الطبيعة أحيانًـا وتكثر فيه الحاجة، فتراه يطعم الفقراء والمحتاجين، والمتضررين والمعوزين، فيملأ الجفـان والقدور ويوزعها على أهل حيّه[٧٨]:

وَجَوْفَـاءَ يَجْنَـحُ فِيهَـا الضَّرِيْـكْ لِحِـينِ الشِّـتَاءِ جُنُـوحَ العَـرِنْ
مَـلأْتُ فَأَتْرَعْتُهَـا تَـابِلِي عَلَـى عَـادَةٍ مِـنْ كَرِيْـمٍ فَطِـنْ
إِذَا سَـدَّ بِـالمَحْلِ آفَاقَهَـا جَهَـامٌ يَـؤُجُّ أَجِيْـجَ الظَّعَـنْ

وتتجلى الإنسانية في أبدع صورها، في أبيات للشاعر المغيرة بن حبناء التميمي، يرسم فيها بعض مظاهر البيئة المرتبطة بالكرم، ويوضح فيها خصال الكريم العربـي في العطاء، وفرحه بأنه يكرم رفيقه. ومن مظاهر حياة البيئة العربية، السفر والارتحال، وقلة الزاد، وارتباط هذا بطبيعة الكرم التي يصورها الشاعر فيقول[٧٩]:

إِذَا مَا رَفِيْقِي لَمْ يَكُنْ خَلْـفَ نَـاقَتِي لَهُ مَرْكَبٌ فَضْلٌ فَلا حَمَلَتْ رَحْلِـي
وَلَمْ يَكُ مِنْ زَادِي لَهُ نِصْفُ مِـزْوَدِي فَلاَ كَنْتُ ذَا زَادٍ وَلا كُنْتُ ذَا رَحْـلِ
شَرِيْكَيْنِ فِيْمَا نَحْنُ فِيْـهِ وَقَـدْ أَرَى عَلَيَّ لَهُ فَضْلاً بِما نَالَ مِـنْ فَضْلِـي

---

[٧٨] ابن مقبل: ديوانه، تحقيق: عزة حسن، دمشق، (١٣٨١هـ/١٩٦٢م) ص٢٩٩، والجوفـاء: الجفنـة الواسعة، الضريك: البائس، العر: داء يصيب الإبل، الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، يؤجج: يسرع.

[٧٩] القيسي: شعراء أمويون، ج٣، ص٩٨.

www.mtenback.com

يشرك الشاعر رفيقه معه في سفره، ويركبه خلفه على راحلتـــه، ويشـــركه في زاده، ومع ذلك يرى أن الفضل يعود إلى هذا الرفيق الذي أتاح له فرصة الجود والكرم عندما صحبه محتاجًا إلى جوده وكرمه. لا يعود إليه.

وقد تأثر شعراء آخرون بالمعنى نفسه الذي يرجع الفضل للآخذ ليس للمعطي، ومن هذا مَا قاله أبو تمام[٨٠]:

وَكَـأَنَّهُمْ فِـي بِرِّهِـمْ وَحَفَـافِهِمْ بِـالْمُجْتَدِي الأَضْيَـافُ للأَضْيَـافِ

ويعجب المرزوقي بهذا المعنى، ويعلق عليه قائلاً: «وأبو تمام جعـــل الضيـــف صاحب الدار، وجعل صاحب الدار ضيفًا، حيث زاد على من سبقه».

وتظهر صورة البيئة أيضًا في شعر محمد بن بشير الخارجي حين مدح زيد بـــن الحسن بن علي في سخاء وجعل الكريم الجواد مثل المطر الذي يعيد إلى الطبيعة بهاءها وثمرها وهو غيث بماله مثل غيث السماء فيقول[٨١]:

إِذَا نَزَلَ ابْنُ الْمُصْطَفَـى بَطْـنَ تَلْعَـةٍ نَفَى جَدْبَها وَاخْضَرَّ بِالغَيْثِ عُوْدُهَـا

وَزِيْدَ رَبِيْعُ النَّاسِ فِـي كُـلِّ شَـتْوَةٍ إِذَا اخْتَلَفَـتْ أَنْوَاؤُهَـا وَرُعُودُهَـا

حَمُـولٌ لأَشْـتَاتِ الدِّيَـاتِ كَأَنَّـهُ سِرَاجُ الدُّجَى إِذْ مَا رَنَتْـهُ سُـعُودُهَا

ومن الواضح أن دراسة تأثير البيئة العربية في قيمة الكرم قد اتخذت محوريـــن أو اتجهت في مسارين، الأول: هو دراسة أثر البيئة في كون الكرم ضرورة حتمية واجبة في الحياة العربية، الثاني: هو دراسة تأثير البيئة العربية في تشكيل اللغة الشـــعرية للكـــرم وكذلك صوره الفنية. ومن الطبيعي أن للبيئة أثرًا واضحًا في اختيـــار المفـــردات، وفي

---

[٨٠] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوانه، بشرح: الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج٢، ص٣٩٣.

[٨١] الخارجي، محمد بن بشير: ديوانـــه، تحقيـــق: محمـــد خـــير البقـــاعي، دار قتيبـــة، دمشـــق، ط١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٦٦.

www.mtenback.com

انتقاء الألفاظ التي يشكل منها الشاعر صوره أو يرسم بها لوحاته الفنيـــة في الكـــرم، فكان لظواهر الطبيعة الواضحة، وآثارها الصامتة والمتحركة، والجامدة الساكنة أكـــبر تأثير في رسم تلك اللوحات بالغة الروعة، وهذا يدل في الوقت ذاته على ارتباط تلـــك القيمة بمظاهر الحياة الطبيعية في البيئة العربية، ولا يعني ذلك أن الكرم لا يليـــق بحيـــاة التحضر أو حياة التمدن والرفاهية، ولكن كان في نشأته عربيًا بما يحمـــل مـــن تلـــك الظواهر، كما أنه يرتبط بمفردات البيئة الحية من الخضرة والربيع والأزهار والحيـــاة، ويحارب الجدب والجفاف والتصحر والفاقة، والكريم مطر وهو غيث وربيع دائم.

ويضاف إلى الظواهر الطبيعية مظاهر اجتماعية تعـــود إلى طبيعـــة الانتقـــال والارتحال، وإلى وسيلة السفر في تلك البقاع، وفي تلك الآونة، وهـــي الإبـــل، وإلى ضرورة وجود الرفيق أو الصديق الذي يصاحب المسافر في ترحاله، يؤنســـه ويبـــدد وحشته، وهو من الظواهر التي لا يمكن الاستغناء عنها في رحلات البادية.

كما يمكن القول إنه من الظواهر الموضوعية في شعر الكرم الزوجـــة وعلاقـــة الرجل بالمرأة فيما يخص قضية الكرم، ومحاولة بعض الزوجات أن يثنين أزواجهن عـــن العطاء والجود والكرم، فترى في كثير من القصائد عتاب الزوجة لزوجهـــا في كرمـــه المبالغ فيه أحيانًا، ولكن الرجل الكريم دومًا لا يستمع لقولها، بل يعاندها ويســـتمر في كرمه وعطائه، ومن المعاني الطريفة في طبيعة الكرم العربي وعلاقته ببعـــض مظـــاهر الحياة الاجتماعية في البيئة، أن الشاعر الكريم قد يأمر امرأته بالرحيل الذي قد يصـــل إلى الطلاق، إن عاتبته على بذل ماله، مثلما روى عن حميد بن ثور الهلالي قوله[٨٢]:

لَقَـــدْ أَمَـــرَتْ بِـــالْبُخْلِ أَمُ مُحَمَّـــدٍ ... فَقُلْتُ لَهَا حُثِّي عَلى الْبُخْلِ أَحْمَـــدَا

فَإِنِّي امْرُؤٌ عَـــوَّدْتُ نَفْسِـــيَ عَـــادَةً ... وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَـــى مـــا تَعَـــوَّدَا

---

[٨٢] حميد بن ثور الهلالي: ديوان حميد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتـــب، (١٣٧١هـ/١٩٥١م) ص٧٦. الألوسي: بلوغ الأرب، ص٦٨.

www.mtenback.com

رَجَوْتِ سِقَاطِيْ وَاعْتِلاَلِـي وَنَبْوَتِـيْ وَرَاءَكِ عَنِّي طَالِقًا وَارْحَلِـي غَـدَا

وهذا سوادة اليربوعي يرد على زوجه أيضًا ذامًا البخل مدافعًا عن الكرم، فيقول[٨٣]:

ذَرِينِي فَإِنَّ البُخْلَ لا يُخْلِـدُ الفَتَـى وَلا يُهْلِكُ المَعْرُوفُ من هُـوَ فَاعِلُـه

وقال آخر، أيضًا[٨٤]:

لا أَحْبِسُ المَـالَ إلاَّ رَيْـثَ أُتْلِفُـهُ وَلا تُغَيِّرُنِي حَـالٌ إلى حَـالِ

وهذا الهذلول بن كعب، يعلل لزوجته سر طحنه بالرحا للضيوف وامتهانه لنفسه فيما لا يمتهن فيه إلا الخدم حين عاتبته على فعل ذلك، ودقت صدرها بيمينها، فيقول[٨٥]:

لَعَمْرُ أَبِيْـكِ الخَـيْرِ إنِّـيْ لَخَـادِمٌ لِضَيْفِي وَإِنِّـي إنْ رَكِبْـتُ لَفَـارِسُ
وَإِنِّي لأَشْرِي الحَمْدَ أَبْغِـي رِبَاحَـهُ وَأَتْرُكُ قِرْنِي وَهُـوَ خَزْيَـانُ نَـاعِسُ

والمقنع الكندي، يشترك معه في المعنى نفسه، ويدافع عن خدمته لضيفه ويرد على عتاب قومه له فيقول[٨٦]:

يَعَـاتِبُنِي فِي الدِّيْـنِ قَوْمِـي وَإِنَّمَـا دُيُونِي فِي أَشْـيَاءَ تُكْسِـبُهُم حَمْـدَا
أَلَمْ يَرَ قَوْمِي كَيْـفَ أُوسِـرُ مَـرَّةً وَأُعْسِرُ حَتَّى تَبْلُغَ العُسْـرَةُ الجَهْـدَا
وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ البَـابُ دُونَهَـا مُكَلَّلَـةٍ لَحْمًـا مُدَفَّقَـةٍ ثَـرْدَا

---

[٨٣] الألوسي: بلوغ الأرب، ص٧٠.

[٨٤] المصدر السابق نفسه.

[٨٥] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، القسم الثاني، ص٦٩٥.

[٨٦] القيسي: شعراء أمويون، ص٢٠٣.

www.mtenback.com

وَإِنِّيْ لَعَبْدُ الضَّيْـــفِ مَـــادَامَ نَـــازِلاً وَمَا شِيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْـــبِهُ العَبْـــدَا

ويسخر النمر بن تولب من زوجته التي تأمره أن يبيع إبله ويشتري الدجاج بدلاً من الإبل حتى يحرم الأضياف لحمها، فيلجأ إلى الله سبحانه، ويطلب منـــه أن يرزقـــه نفسًا طيبة كريمة سخية، تقوم بما يمليه عليه خلقه من إكرام غيره فيقول[٨٧]:

أَعِذْنِـــي رَبِّ مِـــنْ حَصَـــرٍ وَعِـــيٍّ وَمِـــنْ نَفْـــسٍ أُعَالِجُهَـــا عِلاَجَـــا
وَمِنْ حَاجَـــاتِ نَفْسِـــي فَـــاعْصِمَنِّي فَـــإِنَّ لِمُضْمَـــرَاتِ النَّفْـــسِ حَاجَـــا
وَأَنْـــتَ وَلِيُّهَـــا وَبَرِئْـــتُ مِنْهَـــا إِلَيْكَ وَمَـــا قَضَيْـــتَ فَـــلاَ خِلاَجَـــا
وَأَنْـــتَ وَهَبْتَهَـــا كُوْمًـــا جِـــلاَدًا أُرَجِّـــي النَّسْـــلَ مِنْهَـــا وَالنِّتَاجَـــا
فَلَسْـــتُ بِحَـــارِمِ الأَضْيَـــافِ مِنْهَـــا وَجَـــاعِلِ دُونَهُـــمْ بَـــابِي رِتَاجَـــا
وَتَـــأْمُرُنِي رَبِيْعَـــةُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ لأَشْـــرِيَهَا وَأَقْتَنِـــــيَ الدَّجَاجَـــا
وَمَا تُغْنِي الدَّجَـــاجُ الضَّيْـــفَ عَنِّـــي وَلَيْـــسَ بِنَـــافِعِي إِلاَّ نِضَاجَـــا

ويشترك معن بن أوس مع هؤلاء الشعراء في الرد على الزوجة التي تعاتبه علـــى كرمه، بل يأمر النائحة حين موته أن تقول وهي على قبره: أنه أحب القرى، وكـــان لا يطيع العاذلات، ولا يرى البخل حصنًا يحميه من الموت، يقول معن بن أوس[٨٨]:

إِذَا زَالَ نَعْشِـــي وَاعْـــتَرَتْنِي مَنِيَّتِـــي وَصَاحَبْتُ فِي لَحْدِي الصَّفِيْحَ المُنَضَّدَا
فَقُوْلِي فَتًى مَا غَيَّبُوا مِـــن ضَرِيْحِهِـــمْ تَزَوَّدَ مِنْ حُبِّ القِـــرَى مَـــا تَـــزَوَّدَا
أَبَى لا يُطِيْعَ العَـــاذِلاَتِ وَلا يَـــرَى مِنَ المَوْتِ حِصْنًا لِلْبَخِيْـــلِ مُشَـــيَّدَا

---

[٨٧] القيسي: شعراء أمويون، ص٣٣٨.

[٨٨] معن بن أوس، ديوانه، ص٣٦.

www.mtenback.com

ويرد على المرأة العاذلة التي لامته على كرمه في موضع آخر يقول معن أيضًا[٨٩]:

وعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وقد غاب عَيُّوقُ الثُّرَيَا فَعَرَّدَا
تَلُومُ على إِعْطَائِيَ المَالَ جِلَّةً ... إِذَا جَمَعَ المَالَ البَخِيْلُ وَأَعْدَدَا
أَرِيْنِي جَوَادًا مَاتَ هُزْلاً لَعَلَّنِي ... أَرَى مَا تَرَيْنَ، أَوْ بَخِيْلاً مُخَلَّدَا
وَإِلاَّ فَغُضِّي بَعْضَ لَوْمِكِ وَاجْعَلِي ... إِلى رَأْيِ من عَاتَبْتِ رَأْيَكِ مَسْنَدَا
تَقُوْلُ أَسَىً أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّنِي ... أَرَىْ المَالَ عِنْدَ المُمْسِكِينَ مُعَتَّدَا
دَعِيْنِي وَمَالِي إِنَّ مَالَكِ وَافِرٌ ... وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
فَلاَ تَجْمَعِي بَذْلِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي ... وَأَنْ تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكِ مِبْرَدَا

وهذا حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ يرد على من تعاتبه في كرمه، ويرى أن الكرم من جميل الأخلاق، ويرى أن البخل سبة، فيقول لها[٩٠]:

لَكِ الخَيْرُ غُضِّي اللَّومَ عَنِّي فَإِنَّنِي ... أُحِبُّ مِن الأَخْلاَقِ مَا كَانَ أَجْمَلاَ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي أَرَى البُخْلَ سُبَّةً ... وَأُبْغِضُ ذَا اللَّوْنَيْنِ وَالمُتَنَقِّلاَ

وهذا حاتم الطائي يرد على العاذلة فيقول لها[٩١]:

وَقَائِلَةٍ أَهْلَكْتَ بِالجُودِ مَالَنَا ... وَنَفْسَكَ، حَتَّى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودُهَا
فَقُلْتُ دَعِينِي، إِنَّمَا تِلْكَ عَادَتِي ... لِكُلِّ كَرِيْمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيْدُهَا

---

(٨٩) معن بن أوس: ديوانه، ص٣٧.

(٩٠) حسان بن ثابت الأنصاري: ديوانه، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٤٠١.

(٩١) حاتم الطائي: ديوانه، تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، ص١٨٧.

www.mtenback.com

ويقول أيضًا[٩٢]:

لا تَعْذُلِيْنِي عَلى مَـالٍ وَصَلْـتُ بِـهِ رَحِمًا، وَخَيْرُ سَبِيْلِ المَالِ مَـا وَصَـلا

ويستغرق عتاب الزوجة لزوجها الكريم حيّزًا لا بأس به في ساحة شعر الكرم العربي، وقد يصل المرء في هذا اللون من الشعر إلى عدة أمور مهمة منها:

أن هذا الشعر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبيئة العربية وخصوصًا في جانبها الاجتماعي فإن دراسة البيئة لا تقتصر على مظاهرها الجغرافية والمناخية فحسب بل تتسع لتشمل الظواهر الاجتماعية أيضًا. وإن شعر الزوجة اللائمة لزوجها الكريم يتلاقى مع عدة ظواهر أخرى في دراسة تأثير البيئة العربية في الكرم، ويشترك مع وصف القدور والخيل ووصف الرياح والرعود والشتاء والربيع وغيرها.

وإذا كان للبيئة أثر في جعل العرب محبين الكرم فقد كان لها أعظم الأثر في كثير من العادات والعلاقات الاجتماعية.

وربما تكون هذه الزوجة اللائمة موجودة بالفعل، وربما لامت زوجها على كرمه وربما كانت الزوجة حاضرةً في خيال الشاعر فحسب، وهذه من عادة بعض الشعراء الذي يتخيلون صديقًا يشاركهم الرحلة أو يتحدثون إليه أو يستوقفونه، يبكي معهم الطلل وغيره، ولعلّ الزوجة كريمة هي الأخرى، أو أنها أكثر من الشاعر كرمًا.

ومن المعروف أن الزوجة منذ العصر الجاهلي لها تجسيداتٌ وصور في الشعر العربي، فقد تلوم الشاعر على خروجه وقتاله كما هو الحال في قصيدة البحتري في وصف الذئب، وقد تلومه على كرمه وإسرافه وإهداره للمال. والشاعر في جميع الحالات لا يستمع إلى لومها، ولا يعير عتابها أي اهتمام، بل يستخف بعتابها في بعض الأحوال، وقد تظهر المرأة زوجة أو محبوبة أو صديقة أو نائحة عليه بعد موته أو ابنة له

---

[٩٢] حاتم الطائي: ديوانه، ص١٠٧.

www.mtenback.com

إلى آخر تلك الأدوار وهي لا تتنازل عن لومها للشاعر الكريم، وهو لا يتراجع عن كرمه وإنفاقه المال والجود به.

ومادمنا نتحدث عن أثر البيئة العربية وظاهرة الكرم فيها فإنه يجب الحديث عن مبالغة العربي بوصف حرصه على إكرام الضيف وتلهفه على أن يرى قادمًا غريبًا يهتدي إليه حتى يجود بما يستطيع، وقد اكتشف وسائل يجلب إليه فيها الجائعين والباحثين عن الطعام والإكرام، من هذه الوسائل نار القرى والاستنباح وهما من الموضوعات الخصبة التي تحدث عنها الشعر العربي كثيرًا.

ظاهرة نار القرى:

فهي ظاهرة عربية، تدل على سخاء العرب، ونار القرى هي «نار الضيافة التي توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل، وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر.

وقد اهتم الباحثون والأدباء بتعليل هذه الظاهرة، فمنهم قديمًا الجاحظ يعلل هذه الظاهرة في كتابه البخلاء بقوله: «إن النار تجلب الأضياف عندما يوقدونها من مرتفع من الأرض، وتسعرها الريح العاصفة التي تزيد لهيبها إشعاعًا وارتفاعًا حتى يراها كل ناظر من أرجاء الأرض المحيطة به وبمن حوله»[٩٣].

ويعلل مؤلف كتاب الضيافة وآدابها هذه الظاهرة في قوله:

«إن الهداية إلى أماكن الاستقرار مطلب للضيف الذي يبحث عن الحي ويريد أن يصل إليهم، والنار كانت إحدى علامات الهداية، ولا شك أن الضيف الضارب في متاهات الصحراء سيكون أشد شوقًا وحرصًا على معرفة الأماكن الآهلة بالناس،

[٩٣] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دارالمعارف، مصر، (د.ت)، ص٢٤٣.

www.mtenback.com

ويطلبها ليجد القرى، ويأنس من وحشة الصحراء، ويرتاح من عناء السفر، ويستزيد مما هو بحاجة إليه، ثم يواصل السير إلى غايته»[٩٤].

ونار القرى ظاهرة سلوكية، وعادة اجتماعية، اتبعها العرب منذ الجاهلية حتى عهد قريب جدًا، خصوصًا في الأرض البعيدة عن العمران، استجابة لداعي الكرم، وتلبية لروح التعاون والعطاء، استهداء للغرباء، واستجلابًا للضيوف وعابري الطريق، وهي أثر من آثار البيئة العربية، وما توجبه على من يسلكها من البحث عن المأوى والغذاء والاتصال بالناس والاستئناس بهم.

وللعرب نيران أخرى كثيرة، فهناك نار الحروب، والقتال، وهناك نار النصر والغلبة، ونار القِرى هذه، وربما توضع في أماكن مرتفعة حتى يراها السائرون في ظلمة الليل، يهتدون بها. وقد امتدح كثير من شعراء العرب هذه الظاهرة التي تؤكد طبيعة الكرم واستجابتهم لطبيعة حياتهم وبيئتهم العربية الخاصة، كما ذمَّ الشعراء البخلاء الذين لا يوقدون نار القِرى.

ومن الشعراء الذين صوروا ظاهرة نار القرى أبو زيادة الأعرابي الكلابي، فقد ذكرها في مدحه لبعض أجواد العرب فقال[٩٥]:

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ على يَفَاعٍ ... إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ القِنَاعَا

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتْيَانِ مَالاً ... ولكن كَانَ أَرْحَبَهُم ذِرَاعَا

وقال آخر[٩٦]:

إِنِّي إِذَا خَفِيَتْ نَارٌ لِمُرْمِلَةٍ ... أُلْفَى بِأَرْفَعِ تَلٍّ رَافِعًا نَارِي

---

[٩٤] ابن تنباك: الضيافة وآدابها، ص٣٨.

[٩٥] الألوسي: بلوغ الأرب، ص٧٠، تشب: أي توقد، واليفاع المكان المرتفع، وألبست القناع كن عن إخمادها، والذراع النفس.

[٩٦] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

ذَاكَ وَإِنِّي على جَارِي لَـذُو حَـدَبٍ أَحْنُو عَلَيْهِ كَما يُحنَى عَلَـى الجَـارِ

ويقول امرؤ القيس في نار القرى أيضاً[٩٧]:

لَنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إِلَى ضَـوْءِ نَـارِه طَرِيْفٌ بِمالٍ لَيْلَةَ الجُـوعِ وَالخَصْـرِ

ولعمرو بن عبد الله العجلي قول جميل آخر[٩٨]:

إِذَا أَخْمَدَ النِّيرَان مِنْ حَـذَرِ القِـرَى رَأَيْتَ سَنَا نَارِي يَشِـبُّ اضطِرَامُهَـا

وفي المعنى ذاته، يقول حاتم الطائي[٩٩]:

إِذَا مَا البَخِيْلُ الخَبُّ أَخْمَـدَ نَـارَهُ أَقُوْلُ لِمَنْ يَصلَي بِنَـارِيَ: أَوْقِـدُوا

تَوَسَّعْ قَلِيْلاً أَوْ يَكُـنْ ثَـمَّ حَسْـبُنَا وَمُوقِدُهَا البَـادِي أَعَـفُّ وَأَحْمَـدُ

ويقول الأفوه الأودي[١٠٠]:

ثُـمَّ فِيْنَـا لِلْقِـرَى نَـارٌ يُـرَى عِنْدَهَـا لِلضَّيْـفِ رَحْـبٌ وَسَـعَه

ويقول الراعي النميري[١٠١]:

رَفَعْنَا لَهَـا نَـارًا تُثَقِّـبُ لِلْقِـرَى وَلَقْحَةَ أَضْيَافٍ طَوِيْـلاً رَكُودُهَـا

مَاذَا ذَكَرْتُمْ مِـنْ قُلُـوصٍ عَقَرْتُهَـا بِسَيْفِي وَضِيْفَانُ الشِّـتَاءِ شُـهُودُهَا

وللسموءل في نار القرى آراء منها[١٠٢]:

---

[٩٧] امرؤ القيس: ديوانه، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، ط٥، (د.ت)، ص١١٠.

[٩٨] المرزباني، محمد بن عمران بن موسى: معجـم الشـعراء، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط٤، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٢٢٣.

[٩٩] حاتم الطائي: ديوانه، ص٢٦٣.

[١٠٠] الأفوه الأودي: ديوانه، جمعه عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، ص٢٠.

[١٠١] الراعي النميري: ديوانه، ص١٩٣.

[١٠٢] السموءل، بن عاديا: ديوانه، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، (١٩٢٠م)، ص ٢٦.

www.mtenback.com

وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَلا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِيْنَ نَزِيْلُ

وفي موضع آخر، يقول[١٠٣]:

فَلا أَدْفَعُ الضَّيْفَ عَنْ رِزْقِهِ لَدَيَّ إِذَا قِيْلَ لَمْ يُرْزَقِ

وهذا كعب بن زهير يصف نار القرى في قوله[١٠٤]:

وَنَارٍ قُبَيْلَ الصُّبْحِ بَادَرْتُ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْقَدْتُهَا لِمُسَافِرِ

فَلَوَّحَ فِيْهَا زَادَهُ وَرَبَأْتُهُ عَلى مَرْقَبٍ يَعْلُو الأَحِزَّةَ قَاهِرِ

ويتناول كعب بن زهير النار في معنى جديد، حيث يجعل النجوم هي التي تهدي القوم إلى مكان الكرماء، وهي حين تخبو النجوم فإن هؤلاء الكرماء أشبه بالكواكب في هداية الطائفين السائلين، فيقول[١٠٥]:

وُهُمْ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّائِفِيْنَ السَّائِلِيْنَ مَقَارِي

وُهُمُ إِذَا انْقَلَبُوا كَأَنَّ ثِيَابَهُمْ مِنْهَا تَضَوَّعُ فَأْرَةُ العطَّارِ

وَالْمُطْعِمُوْنَ الضَّيْفَ حِيْنَ يَنُوبُهُمْ مِنْ لَحْمِ كُومٍ كَالهِضَابِ عِشَارِ

وَالْمُنْعِمُونَ الْمُفْضِلُونَ إِذَا شَتَوا وَالضَّارِبُونَ عَلاَوَةَ الجَبَّارِ

وفي لوحة فنية رائعة، يجمع ابن الرومي بين نار القرى ونار الحرب، ويفصل بينهما في مدحه الممدوح الكريم، فيقول[١٠٦]:

لَهُ نَارَانِ: نَارُ قِرًى وَحَرْبٍ تَرَى كِلْتَيْهِمَا ذَاتَ التِهَابِ

---

[١٠٣] السموءل: ديوانه، ص ١٦.

[١٠٤] كعب بن زهير: ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٥٩.

[١٠٥] المصدر السابق نفسه.

[١٠٦] ابن الرومي، علي بن العباس: ديوانه، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٧٣م) ج١، ص٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢.

www.mtenback.com

بِسَـــاحَتِهِ قُـــدُوْرٌ رَاسِـــيَاتٌ تُفَارِطُهَـــا جِفَـــانٌ كَـــالجَوَابِيْ
تَجُـــودُ بَنَانُـــهُ، وَالغَيْـــثُ مُكْـــدٍ وَيُمْضِيْ عَزْمَـــهُ، وَالسَّـــيْفُ نَـــابِيْ
وَيَحْتَجِـــبُ الضِّيَـــاءُ إِذَا سَـــقَانَا وَمَا ضَـــوْءٌ بِجُـــودِكَ ذُو احْتِجَـــابِ

وهذه النصوص جميعها تدور حول فكرة واحدة وهي ارتباط ظاهرة نار القِرَى بالكرم، واستجلابها للضيف، وارتباطها بتواصل إنساني قديم مما يجعـــل الشـــعراء يمتدحون أصحاب هذه النيران، وكان من أبرز المضامين التي صـــاغ منهـــا الشـــعراء لوحات نار القرى الارتفاع والعلو، وهو أساس حتى يرى المسافر النيران، وكذلـــك الليل أو وقت ما قبل الفجر حتى ترى النيران في الظلام، ويبـــدو كـــرم أصحابهـــا وترحيبهم بالضيف، ويحق مدح أهلها وذم من تخبو نيرانه، وكرم أصحاب النـــيران في نحر الذبائح وإكرام الضيفان، وربما أضاف بعض الشعراء مضامين جديدة، منها نـــار الحرب ونار القرى، حتى يجمع الممدوح بين الكرم والشـــجاعة، والممـــدوح الـــذي يستعاض بنوره حين تخبو النجوم، مما عبرت عنه المقطوعات التي سبقت.

ولكن حين تخبو النيران، أو يتعذر إيقادها، فإن العرب الكرماء يستعيضون عنها بمظهر آخر من مظاهر الترحيب والتكريم وهو توجيه كلاب الحراسة للنبـــاح وهـــذا مايعرف بالاستنباح.

ظاهرة الاستنباح:

هي ظاهرة من ظواهر الكرم العربي، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالبيئة العربية قديمًا ، في مجاليها البعيدة وفي قلب الجزيرة العربية، بعيدًا عن العمـــران والمنـــاطق الآهلـــة، والاستنباح مرحلة تالية لمرحلة نار القرى، فقد ترى النار من مسافة بعيدة، أبعد من أن يُسمع فيها النباح، فضلاً عن وجود نار القرى في مكـــان مرتفـــع شـــاهق متيســـر للمسافرين رؤيته على البعد.

www.mtenback.com

والمعروف أن العرب كانوا يقتنون الكلاب لغايات منها استهداء الضيف، فنباح الكلاب يدل العابرين على منازل الكرام، وكان الشعراء يمدحون الكرماء بنباح كلبهم، وكانوا يهجون البخلاء بأن كلابهم لا تنبح.

وقد احتلت صورة نباح الكلب مساحة غير قليلة في ميدان شعر الكرم العربي، تأكيدًا لهذه القيمة وتأصيلاً لبعض مظاهرها المرتبطة بالبيئة العربية، التي لا نجد لها أثرًا في بيئات أخرى. فيقول مؤلف كتاب الضيافة وآدابها:

«والنار لن تدوم مشتعلة الليل كله، ولو زعم العرب أنهم يفعلون ذلك، فلابد أن ينام السامرون على ضوء النار، والموقدون لها، وتبقى الحاجة إلى وسيلة أخرى يهتدي بها الضيف ليعرف أين يتجه، وكيف يسير، فكان الكلب العاوي الساهر على الحراسة موضوعًا من موضوعات الفخر في الشعر العربي، عندما يزعم العربي أن كلبه لا ينام، وأن الضيف لشدة حرصه على القرى وحبه في أن يجد المأوى ينبح كما ينبح الكلب، لعل الكلاب تجيبه فيعرف مكان الحي فيتجه إليه، وأن الكريم الجواد إذا سمع ذلك قام ورفع للضيف النار وأشلى الكلاب حتى يدل نباحها الضيف» [١٠٧].

والقارئ المتأمل في تراث العرب الشعري يلحظ مضامين طريفة وصورًا عديدة رسمها الشعراء لهذه الظاهرة، وغالبًا ما نجد بعض القصائد والمقطوعات تبدأ بكلمة «ومستنبح» وهو الضيف الذي يحاول استنباح الكلاب حتى لا يضل الطريق، وقد يعاود الأمر مرة ومرة، وحين يسمعه صاحب الدار يهش له، ويستعد لاستقباله، ومن هذه اللوحات الطريفة، تلك المقطوعة التي نظمها الشاعر عمرو بن الأهتم، ورسم فيها كثيرًا من معالم الحياة العربية، منها الليل البارد، والرياح والبرق، والسُرى في الشتاء، وذلك الصوت الاستنباحي بعد الهدوء، ثم ما يفعله صاحب المكان من الترحيب والمضاحكة والملاطفة والمبالغة في تكريم ذلك الطارق، يقول عمرو[١٠٨]:

---

[١٠٧] ابن تنباك: الضيافة وآدابها، ص٣٨-٣٩.

[١٠٨] عمرو بن الأهتم: ديوانه، حققه: سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٩٣.

www.mtenback.com

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الهُدُوءِ أَجَبْتُهُ ... وَقَدْ حَانَ من سَارِي الشِّتَاءِ طُرُوقُ
يُعَالِجُ عِرْنِيْنًا من اللَّيْلِ بَارِدًا ... تَلُفُّ رِيَاحٌ ثَوْبَهُ وَبُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا ... فَهَذَا مَبِيْتٌ صَالِحٌ وَصَدِيْقُ
وَضَاحِكْتُهُ من قَبْلِ عِرْفَانِي اسْمَهُ ... لِيَأْنَسَ بِي إِنَّ الكَرِيْمَ رَفِيْقُ
وَقُمْتُ إِلى البَرْكِ الهَوَاجِدِ فَاتَّقَتْ ... مَقَاصِدَ كَوْمٍ كَالمجَادِلِ رُوْقُ
فَبَاتَ لَنَا مِنْهَا وَلِلضَّيْفِ مَوْهِنًا ... شَوَاءٌ سَمِيْنٌ زَاهِقٌ وَغَبُوْقُ
وَكُلُّ كَرِيْمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بِالقِرَى ... وَلِلْخَيْرِ بَيْنَ الصَّالِحِيْنِ طَرِيْقُ

وقد جمع صاحب شعر الحماسة أشعارًا كثيرة تصور الاستنباح ومنها[١٠٩]:

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الهُدُوءِ دَعَوْتُهُ ... بِشَقْرَاءَ مِثْلِ الفَجْرِ ذَاكٍ وَقُودُهَا
فَقُلْتُ لَه أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا ... بِمُوقِدِ نَارٍ مُحْمِدٍ من يَزُورُهَا
فَإِنْ شِئْتَ أَثْوَيْنَاكَ فِي الحَيِّ مُكْرَمًا ... وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضًا تُرِيْدُهَا

وهذا غريب آخر، ضل طريقه في متاهات البيداء، تكاد ظلمة الصحراء ووحشتها تفتك به، يحاول تقليد الكلاب في نباحها، فيجيبه الكريم العربي، بأن يرفع ناره ليهتدي إليه، ويكرم مثواه، ويفخر بأخلاقه لزوجته وللعرب بأن قدوره شاهدة على كرمه، ويقول في هذا المعنى الشاعر شبيب بن البرصاء[١١٠]:

وَمُسْتَنْبِحٍ يَبْغِي المَبِيْتَ وَدُونَهُ ... من اللَّيْلِ سَجْفَا ظُلْمَةٍ وَسُتُورُهَا
رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا ... زَجَرْتُ كِلاَبِي أَنْ يَهِرَّ عَقُورُهَا

---

[١٠٩] المرزوقي: ديوان الحماسة، ج٤، ص١٦٤٣.

[١١٠] القيسي: شعراء أمويون (شبيب بن البرصاء)، ص٢٢٨.

www.mtenback.com

فَبَاتَ وَإِنْ أَسْرَى مِنَ اللَّيْـــلِ عُقْبَـــةً بِلَيْلَةِ صِدْقٍ غَابَ عَنْهَـــا شُـــرُورُهَا
فَلاَ تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي عَـــنْ خَلِيقَتِـــي إِذَا ردَّ عَافِي القِدْرِ مـــن يَسْـــتَعِيرُهَا
تَرَي أَنَّ قِـــدْرِي لا تَـــزَالُ كَأَنَّهَـــا لِذِي الفَـــرْوَةِ المَقْـــرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَـــا

ويحاول بعض الشعراء في هذه اللوحات أن يضيف بعض الطرافـــة في تجديـــده لجزئيات المعنى حتى لا تكون الصورة كلها مكررة تقليدية واحدة، فهذا يستنبح وهـــذا يجيبه، فنرى عتبة بن بجير الحارثي يصف ذلك الطارق الغريب، الذي لم يســـمع غـــير صدى صوته كلما استنبح، و لم يسمع استجابة لندائه للاستنباح، فيكرر ذلك مـــرات إلى أن يسمع العربي الكريم، فيرد عليه بمثل فعله، حتى يهتدي إليه، فيقـــوم بواجـــب الإكرام ومظاهره، ويتخذ عتبة الحارثي في هذه المعاني شكل القصة الشعرية المكتملـــة الأركان الفنية فيقول في بعضها[١١١]:

وَمُسْتَنْبِحٍ بَـــاتَ الصَّـــدَى يَسْـــتَتِيهُهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهْوَ فِي الرَّحْلِ جَـــانِحُ
فَقُلْتُ لأَهْلِـــي: مَـــا بُغَـــامُ مَطِيَّـــةٍ وَسَارٍ أَضَافَتْـــهُ الكِـــلاَبُ النَّوَابِـــحُ
فَقَالُوا غَرِيبٌ طَارِقٌ طَوَّحَـــتْ بِـــهِ مُتُونُ الفَيَافِي وَالخُطُـــوبُ الطَّوَائِـــحُ

إنها مجموعة من الصور الشعرية ترسم بعض معالم البيئة العربية وقسوة الباديـــة وحتمية الكرم، فهذا غريب آخر ضال في الفيافي، شريدٌ جائعٌ في جوف الصحـــراء، لا يجد طعامًا أو شرابًا، فيجد من يضيفه ويكرمه، ويشعل له النيران، وينادي بغير اسمـــه ويرحب به ويبشر أهله بمقدم الضيف، فهو عمل يفتخر به السيد العربي[١١٢]:

وَمُسْتَنْبِحٍ تَهْـــوى مَسَـــاقِطُ رَأْسِـــهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهْوَ لِلسَّمْعِ أَصْـــوَرُ

---

[١١١] المرزوقي: الحماسة، ج٤، ص١٥٥٧.

[١١٢] المصدر السابق، ص١٦٤٦

www.mtenback.com

حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَـــأَبْصَرَ ضَوْءَهَـــا وَمَاكَادَ لَوْلاَ حَضْـــأَةُ النَّـــارِ يُبْصِـــرُ
دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُـــمّ إِلَـــى القِـــرَى فَأَسْرَى يَبُوعُ الأَرْضَ وَالنَّـــارُ تُزْهِـــرُ
فَلَمَّا أَضاءَتْ شَخْصَهُ قُلْـــتُ مَرْحَبًـــا هَلُـــمّ وَلِلصَّـــالِيْنَ بِالنَّـــارِ أَبْشِـــرُوا

وصورة الاستنباح ذات وجهين: الأول، الاستنباح وهو تقليد الغرباء الضالين في الصحراء لنباح الكلب، حتى ترد الكلاب عليهم، فيجدوا بغيتهم من الطعام والقـــرى والاستئناس بعد الوحشة والانفراد والخوف وقد استعملت هذه العـــادة في مضـــامين طريفة أضفت على صورة الاستنباح خصوصية وعمقًا، أما الشق الثاني فهو الكلـــب ذاته، أو كلب الكريم، وله خصال تختلف عن كلب البخيل، فالأخير يعقـــر ويطـــارد الغرباء، ويبعدهم عن الحي، أما الأول وهو كلب الكريم، فيأنس للضيف، ويرحـــب بالغريب، حتى يطلق عليه، أي على كلب الكريم، صفة الجبن وهي صفة حميـــدة في كلاب الكرام، حتى قيل في المثل العربي: «فلان جبان الكلب» إذا أريد مدحه ووصفه بالجود.

وقد أفاض حاتم الطائي في ديوانه في رسم صورة الكلب الجبـــان، أو كلـــب الكريم، الذي لا يطارد الغريب، فجاء في بعض شعره[١١٣]:

قُـــدُورِيَ لِلضَّيْـــف مَنْصُوبَـــةٌ وَمَـــا يَنْبَـــحُ الكَلْـــبُ أَضْيَافِيَـــهْ
وَإِنْ لَـــمْ أَجِـــدْ لِلـــنَّزِيْلِ القِـــرَى نَقَلْـــتُ لَـــهُ بَعْـــضَ أَطْرَافِيَـــه

ويسهم الكلب في تصوير كرم الكريم، فيدل الضيف على صـــاحب النـــار في غلس الليل، فيقول حاتم كذلك[١١٤]:

تدُلُ ضَيْفِي عَلَيَّ فِي غَلَـــسِ اللَّيْـــ ـــلِ إِذَا النَّـــارُ نَـــامَ مُوقُدُهَـــا

---

[١١٣] حاتم الطائي: ديوانه، ص٢٥٤.

[١١٤] المصدر السابق، ص٢٥٠.

www.mtenback.com

ويقارن بين كلبه وجبنه وكلب البخيل ومطاردته الضيوف ومحاولة عقرهم[١١٥]:

إِذَا مَا بَخِيْلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلابُهُ ... وَشَقَّ على الضَّيْفِ الضَّعِيْفِ عَقُورُهَا

فَإِنِّي جَبَانُ الكَلْبِ بَيْتِي مُوَطَّأٌ ... أَجُودُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيْرُهَا

ويقول حاتم أيضًا[١١٦]:

بِأَنِّي لا يَهِرُّ الكَلْبُ ضَيْفِي ... وَلاَ يُقْضَي نَجِيُّ القَوْمِ دُونِي

وَلا أَعْتَلُّ مِنْ قَنَعٍ بِمَنْعٍ ... إِذَا نَابَتْ نَوَائِبُ تَعْتَرِيْنِي

إِذَا أَنَا لَمْ أَرَ ابْنَ العَمِّ فَوْقِيْ ... فَإِنِّي لا أَرَى ابْنَ العَمِّ دُوْنِي

وَمِنْ كَرَمٍ يَجُورُ عَلَيَّ قَوْمِيْ ... وَأَيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ يَحْسُدُونِي

والجديد في تصوير كلب الاستنباح أو داعي الغرباء هو ما صوره الشاعر العباسي دعبل بن علي الخزاعي حين جعل الكلاب تحيي الضيوف تحية خاصة ببصابص الأذناب، ثم يبالغ في رسم صورة الكلاب والكرم، فيجعلها لكثرة تعودها على الضيوف تكاد تفصح بالترحاب بهم، فيقول[١١٧]:

وَيَدُلّ ضَيْفِيْ فِي الظَّلاَمِ على القِرَى ... إِشْرَاقُ نَارِي أَوْ نُبَاحُ كِلاَبِيْ

حَتَّى إِذَا وَاجَهْتُهُ وَلَقِيْتُهُ ... حَيَّيْتُهُ بِبَصَابِصِ الأَذْنَابِ

وَتَكَادُ مِنْ عِرْفَانِ مَا قَدْ عُوِّدَتْ ... مِنْ ذاكَ أَنْ يُفْصِحْنَ بِالتَّرْحَابِ

---

[١١٥] حاتم الطائي: ديوانه، ص٢٤٥.

[١١٦] المصدر السابق، ص١٢٨.

[١١٧] الخزاعي، دعبل بن علي: ديوانه، جمع وتحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، (١٩٦٢م)، ص١٧٠.

www.mtenback.com

بعد عرض هذه النماذج للاستنباح، سنقف على أهم معالم هذه النصوص الفنية ومنها:

ترددِ صيغة «ومستنبح» كثيرًا في بدايات هذه النصوص حتى صارت مفتتحًا للغالب من لوحات الاستنباح.

ارتباط هذه العادة بتقاليد الضيافة عند العرب ارتباطًا وثيقًا فصارت قاصرة عليها وحملت معها بعض مظاهر البادية من وصف عصف الريح ولمعان البرق وشدة برد الشتاء وقسوة الحياة واكفهرارها حتى تجعل الغريب الطارق في أمس حاجة إلى من يعينه ويساعده على تخطي الصعوبات. والعربي يبالغ في رسم صورة الصحراء ويهولها.

وهي مهولة حقًا. لقد صورت هذه اللوحات كلب الكرم في أنماط عدة أو في أكثر من لون، فهناك الكلب الذي عوده أصحابه على استجلاب الضيف، وهناك القوم البخلاء الذين صارت كلابهم تعقر الغرباء وتطاردهم، فصارت صفة الجبن للكلب من الصفات الحميدة الدالة على الكرم بل أضفى كل شاعر شيئًا من صفة الكلب إلى الكلب نفسه فجاء الترحيب دومًا بالغرباء الطارقين، والتحية الجليلة والمبالغة في إكرامهم بنحر الذبائح والجود بما تجود به قدرة الكريم صفة محببه في الشعر العربي حتى صارت الكلاب سببًا آخر من أسباب الكرم والجود فهي تحيي الضيوف كأصحابها.

وكذلك استبشار الأهل وفرح القوم بنزول الطارقين، فقد ينعمون هم معهم ويشاركونهم الفضل الذي يجود به الشهم المضياف فيشرك حتى جيرانه مع ضيوفه.

بهذا نجد أن نار القرى والاستنباح قد يتعاونان معًا في استحضار الغريب، وقد تنوب إحداهما عن الأخرى، لا سيما حين يغيب الكلب ولا يجد المستنبح غير صدى صوته، فيشعل صاحب المكان النار استهداء وتعريفًا بمكانه ليصل إليه التائهون والضالون في الصحراء.

www.mtenback.com

ويرى الألوسي، مظهرًا آخر للكرم، يرتبط بالبيئة، وإن كان الإسلام لم يقرّه فيما بعد في شرائعه، وهو لعبهم بالميسر، فكان «لعبهم بالميسر منبعثًا عن السخاء وكرم الطباع، فإن أهل الثروة والأجواد منهم في شدة البرد وشدة الزمان، ييسرون أي يتقامرون بالقداح وهي عشرة على جزور يجزئونها ثمانية وعشرين جزءًا، فإذا قمر أحدهم جعل أجزاء الجزور لذوي الحاجة وأهل المسكنة، واستراش الناس وعاشوا، وكانت العرب تمدح بأخذ القداح وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم»[118].

ويسجل الشعر العربي تلك الظاهرة المرتبطة بالبيئة والبادية العربية، والتي تعد في نظرهم مظهرًا من مظاهر الكرم العربي عند بعضهم، فيقول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك[119]:

وَلا بَرِمًا تُهْدِي النِّسَاءُ لِعِرْسِهِ ... إِذَا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا

ويقول العرندس في المعنى ذاته[120]:

هَيْنُون لَيْنُون أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

إِنْ يَسْأَلُوا الحَقَّ يُعْطَوْهُ وَإِنْ خُبِرُوا ... فِي الجَهْدِ أُدْرِكَ مِنْهُمْ طِيْبُ أَخْبَارِ

ويشير إلى هذه الظاهرة لبيد بن ربيعة في معلقته، فيقول[121]:

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا ... بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيْرَانِ الجَمِيْعِ لِحَامُهَا

فَالضَّيْفُ وَالجَارُ الجَنِيْبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا

---

[118] الألوسي: بلوغ الأرب، ص٧٠.

[119] المصدر السابق، ص٧١.

[120] المصدر السابق نفسه.

[121] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

تلك أهم خصائص فضائل العرب وعلاقتهم بالكرم العربي الذي أرسى قواعده عرب الجاهلية، وجاء الإسلام فأقرّه، وشرعه، ونظم شرائعه، وصار دستوراً للحياة العربية حتى اليوم، وربما كان الكرم في القديم مرتبطًا بحياة خاصة أوجدتها الشدة والقسوة والجدب في بعض أماكن الجزيرة، وفي بعض أوقاتها، مما يجبر القائمين في الأماكن العامرة والآهلة بالحياة والأحياء على إكرام المحتاجين والغرباء، وقد تغيرت طبيعة البيئة العربية، وتطورت إلى الأفضل وإلى الرغد والخصب و لم تتغير سجية العربي وكرمه، بل صار الكرم من شرائعهم ومن أخلاقياتهم في الشدة والعوز وفي الرخاء، ومن سلوكياتهم الحميدة، وقد عالجت عاداتهم ظواهر الكرم وبواعثه والأسباب الداعية إليه.

ارتبطت هذه القيمة النبيلة، بالبيئة العربية ، وارتبط الكرم بالعرب في سلوكهم، فصار خلقهم وديدنهم، وأضحى البخل شاذًا منبوذًا، وتبارت الأقوال تحقرّه، وتذمه وتنفرّ منه، حتى إنّ بعض الكتاب العرب ألّفوا بعض الرسائل والمصنفات تذمّ البخل والبخلاء، لاقتلاع هذه العادة الغريبة والشاذة عن الكيان العربي الإنساني، الذي عشق الكرم وأحبه، فلمّا جاء الإسلام أقره، وحث عليه، وبشرّ أهله، وحبب الناس فيه، وكان الرسول الكريم ﷺ القدوة والمثل والنموذج، فأسهمت الشريعة السمحة في إضافة أبعاد روحية وجوانب تشريعية، تسمو بتلك القيمة، وتحبذ الجود والعطاء، حتى تبرأ تلك القيمة النبيلة من الأدران أو الشوائب الجاهلية، وقد جلب القيام بها الشهرة وذيوع الصيت والذكرى الحسنة بين البشر.

وأصبح من دواعي الكرم المحافظة على الدين وأصوله، والتمسك بالعقيدة وشرائعها، والاستجابة لأوامر الخالق في كتابه الحكيم، والاقتداء بسيرة الرسول المصطفى، والآيات كثيرة، والأحاديث عديدة، تؤكد وتدعو وتأمر وتبشر:

www.mtenback.com

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[١٢٢].

﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[١٢٣].

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٢٤].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١٢٥].

كما روي عن النبي ﷺ أحاديث تأمر بالكرم وتدعو إليه. فقد دعا عليه السلام إلى إطعام الطعام، وإلى إفشاء السلام، وإلى التبسم في وجه الناس، وإلى التصدق والعطاء.

ومن دواعي الكرم أيضًا، الثراء ووفرة المال وتعدد أنعم الله سبحانه، فهذا أدعى للكرم وأوجب، وأنفر للشح وأبغض، وإن كان هذا الموسر يعطي عن سعة وعن يسر ولا يجد عناء، فإنه يحظى بحب الله وحب الناس، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

وفي كتاب الخلق الكامل أن الثروة الطائلة تُفْضي إلى «تقديم الغني مما وفق إليه، ليجعله ذخرًا للآخرة، ويستجلب به الشكر في الدنيا، مع الثقة بالكفاية، والغي عن الزيادة»[١٢٦].

---

[١٢٢] سورة البقرة: ٢٧٢.

[١٢٣] سورة النور: ٣٣.

[١٢٤] سورة الحشر: ٩.

[١٢٥] سورة الأنفال: ٢٨.

[١٢٦] جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص٢٦٨.

www.mtenback.com

وفي هذا أمر بالعطاء، وتكريم القادر للمعسر، يقول النبي ﷺ:

«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كُربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مُسلمًا ستره الله يوم القيامة» (١٢٧).

وقد يكون في بعض الأحيان داعي الكرم الرغبة في الشهرة والصيت ومحبة الناس، أن يقولوا عنه إنه كريم، كما كان الأمر في الجاهلية، عند بعض الموسرين، وقد نهى الإسلام عن ذلك، إلا إذا جاء الكرم ونتائجه بالحمد والشكر، والثناء الحسن، وطيب الذكر دون طلبه أو الحرص عليه فتنفرد إرادته بحب الخير في الدنيا والآخرة، فيتكرم ويجود فيمدح ويحمد(١٢٨). ومن المؤكد أن هذا الأمر محمود، وأنه غير مذموم، فالداعي فيه وإن كان دنيويًا شخصيًا فإنه لايرتبط بأمر ممنوع من أمور الدين والآخرة، وهو من الغايات التي لا تفسد معنى الكرم، ولا تذهب بمروءة العطاء، ولا بقيمة البذل، لكن الإسلام قد حذر من الانزلاق إلى مهاوي الرياء والسمعة، لأنها تمحق ثواب الصدقة، ودعاهم إلى الإخلاص والتقوى ومراقبة الله تعالى(١٢٩).

يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١٣٠).

---

(١٢٧) البخاري: الجامع الصحيح، باب الزكاة.

(١٢٨) جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، انظر ص٢٦٨.

(١٢٩) حلبي: الكرم والجود والسخاء، انظر ص٤١.

(١٣٠) سورة البقرة: ٢٦٤-٢٦٥.

www.mtenback.com

فقد نهت الآيات عن هذا الداعي الدنيوي الذي يرى الإنسان من ورائه هدفًا في الحياة ومع البشر، ومكسبًا شخصيًا قد يفيد منه لمنصب يريده أو لسمعة يتمناها أو ليخفي بعض سوءات شخصه بهذا الكرم المدعى، فهذا أشبه بمن ينفق المال رئاء الناس، وتصفه الآيات بأنه لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وتصور عمله في صورة ذاك الحجر الأملس المغطى بالتراب الذي زال عنه بعد المطر الغزير فتركه صلدًا، وتأمر الآيات بأن يكون داعي الكرم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم، حتى يجزى بضعف ما فعل أو أكثر منه.

وقد يكون من دواعي الكرم طلب المجد، فيبذل معروفه محافظة على المكانة، وحرصًا على استدامة الضيافة»[١٣١]، وقد يكون من دواعي الكرم التكرّم أو تصنّع الكرم «فيضطر إلى اصطناع المعروف وإن كان به غير معروف، رجاء بلوغ بغيته، والوصول إلى أمنيته، فيأتيه تصنّعًا لا تطبعًا»[١٣٢]. وهذا كله مذموم، «لأنه بذل لاستجلاب المدح، وطلب المنزلة بين الناس، فهو ليس بريئًا من الشبهات، وليس خالصًا لوجه الله، وإنما قوامه طلب الدنيا، والطمع في المجد والشبهات، وهو مما يتنافى مع الإيمان والتدين الصحيح والعقيدة السليمة»[١٣٣].

قال بعض الحكماء: «وبإيثارك على نفسك تستحق اسم الكرم»[١٣٤]. إن المرء وإن ملك الدنيا بحذافيرها، لم ينتفع منها إلا بقدر الحاجة، ولا وجه لتشخصه القليل وهو حظه وتطلعه إلى الكثير وهو فضل[١٣٥].

---

[١٣١] جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، انظر ص٢٦٨.

[١٣٢] المصدر السابق نفسه.

[١٣٣] حلبي: الكرم والسخاء، ص٤٢.

[١٣٤] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله : كتاب الكرماء، تحقيق: محمود الجبالي، مطبعة الشورى بالفجالة، مصر، (١٣٢٦هـ)، ص٣٠.

[١٣٥] المصدر السابق، ص٣١.

www.mtenback.com

وإن المثال الذي يحتذى في الكرم ويعد من أبرز دواعيه هو البذل مع الحاجة، والعطاء مع القليل، أو الكرم بما في اليد مع ضيق الأموال وقلة ذات اليد، فما بالنا بالقادر الموسر المنعم.

ويرى العسكري رأيًا ربما يتفرد به في تقديره لكرماء العرب وأجوادهم المعروفين، أن حاتمًا وكعبًا وهرمًا، لم يجعلوا أمثالاً في الجود لعظم عطياتهم في القدر، لأن الواحد منهم إنما كان يقري ضيفًا أويهب بعيرًا أو عددًا من الشاء قليلاً، ولكن ذهب صيتهم في السماح، وبعد ذكرهم في الجود، لأنهم كانوا يعطون وهم محتاجون، وينيلون وهم مخملون، وكان عطاء الرشيد والبرامكة والأمين والمأمون في اليوم الواحد أكثر من جميع ما أعطاه أولئك في جميع أيامهم، و لم يضرب بواحد من هؤلاء المثل كما ضرب بأولئك، فهذا يدل على أن الناس إنما استحسنوا بذلهم مع ضيق أحوالهم، وقلة ذات أيديهم، فجعلوهم أمثالاً مضروبة، لكل من استغربوا فعله، واستبدعوا صنيعه[١٣٦].

وربما يعود ذلك إلى طبيعة الحياة في الجاهلية، وأن كرماء العرب قبل الإسلام، إذ لم تكن شريعة تدعوهم إلى ذلك، وكان الكرم عندهم سجية وطبيعة، كما أن قسوة الصحراء وشظف العيش وشدة الحياة، جعلت الكرم واضحًا، وأثره جليًا، حتى أصبح هؤلاء الأجواد قدوة ومثالاً، مما ساعد في خلق كثير من الأخبار والروايات المبالغ في نسجها، والتي تصل أحيانًا إلى حد الخوارق أو الأساطير، تجسيمًا لدور البطل في ميدان الكرم، وتجسيدًا لشخصه حتى يصبح أنموذجًا يحتذى في عطائه مع العسر وفي اليسر، يقول الشاعر في هذا المعنى[١٣٧]:

أُقِلُّ وَأُثْرِي كُلُّ ذَاكَ يَسُرُّنِي وَلِلدَّهْرِ وَالإِنْسَانِ حَالٌ تَقَلَّبُ

---

[١٣٦] أبو هلال العسكري: كتاب الكرماء، ص٣١.

[١٣٧] المصدر السابق، ص٤٣.

www.mtenback.com

وَيَـلْزَمُنِي حَـقٌّ فَـلاَ أَسْـتَطِيْعُهُ وَلاَ يَنْفَعُ الرَّاجِيْنَ أَهْـلٌ وَمَرْحَـبُ
وَمَا أَبْطَلَ الإِعْـدَامُ حَقًّـا لِرَاغِـبٍ وَلَكِنَّـهُ فِي حَالَـةِ الْيُسْـرِ أَوْجَـبُ

آداب الكرم:

اهتم الإسلام برصد آداب الكرم، حتى يخرج من دائرة التصنع والتكلف، ويبعد عن الغايات المادية التي يستهدفها بعض الكرماء. ومن الجائز أن يطلق لفظ الكريم على المتصنع أو المتكلف أو الراغب بجوده وعطائه غاية غير رضا الله ونفع عباده، ولذا نجد بعض الآيات والأحاديث وبعض حكم الحكماء، تشترط سلوكيات واجبة حتى يكون الكرم مقبولاً عند الله، بعيداً عن المقاصد المادية، والرياء والشهرة وحب الذات.

إن هذه السلوكيات الحميدة أو آداب الكرم، تجعل من العربي سيداً في قومه، كما كان سيداً في قبيلته قبل الإسلام، فقد جعل العرب السيادة في هؤلاء الأجواد الكرماء الأسخياء، حتى تبلورت في الأذهان وفي التاريخ صورة «السيد العربي»، اعتماداً على ما زخرت به مصادر التراث الأخلاقي والعرف الاجتماعي. ولعل المتأمل في أخلاقيات السيد العربي يستقرئ آداب الكرم، وهي تتفق في معظم أحوالها مع ما جاء به الإسلام فيما بعد.

وللكرم السيادة والوجاهة والصدارة وعلو المقدار، وهكذا فهم عرب الجاهلية، ومن آدابه «البعد عن المنّ والأذى، والتفاضل وتحقيق المآرب الشخصية وأن يكون نابعًا من طيب المال والإنفاق ولو على قلة، والمبادرة بالعطاء، والحفاظ على حياء السائل أو المحتاج.

وإنّ (السيد العربي) يُفترض فيه الكرم والنجدة، فقد ورد في الأغاني أن مما يشترط في من يسود قومه «أن ينخدع لهم عن ماله». وإن تغافل السيد وإغضاء الكريم وتجاهل المحسن، هو أسلوب في الكرم فريد، وليس فيه ذل السؤال ولا ظاهرة الإحسان

www.mtenback.com

ولا آفة المن والأذى، وهذه أخلاقيات الفرسان وآداب الكرم، حتى قالوا «السر والتغافل صنوان » وقال شاعرهم[١٣٨]:

لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِيْ

وجاء في الأخبار أن معاوية سأل في مجلسه شيخًا بدويًا عن الشروط التي ينال بها العربي لقب «السيد» في الصحراء، فأجاب الشيخ:

«بيت مفتوح، وحديث حلو، والامتناع عن السؤال، وإكرام الصغار والكبار، ومعاملة الجميع على حد سواء»[١٣٩].

وتسجل المأثورات الشعبية أن سيد القوم خادمهم، وتطورت فكرة السيد حتى بلغت ذروتها في الإسلام في شخص الرسول العربي الكريم، فقد بعث الرسول بلسان قومه ليبين لهم، كذلك جاء على خلق عظيم، وهو القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١٤٠].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١٤١].

ولعل في خبر سبايا طيء، وحديث الجارية التي وصفت الأب، وهي سفَّانَةُ بنت حاتم الطائي، ما دفع الرسول الكريم عليه السلام إلى قوله: يا جارية: هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًا لترحمنا عليه، خلوّا عنها، فإن إباها كان يحب مكارم الأخلاق، إن الله يحب مكارم الأخلاق»[١٤٢].

---

[١٣٨] المجلة العربية، السنة الثالثة، العدد ١، ص١٨.

[١٣٩] المجلة العربية، السنة الثالثة، العدد ١، ص١٨.

[١٤٠] البخاري: الجامع الصحيح كتاب الأدب، باب ٣٩.

[١٤١] سورة الأحزاب: ٢١.

[١٤٢] ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٢٧٤.

www.mtenback.com

وتسهم عدة عوامل في تشكيل شخصية السيد العربي الذي يراعي آداب الكرم ومنها المروءة، أنه ذو مهابة، لا ينطق بالخَنا، له في هذه الدنيا دوي، حتى إنهم سوّدوا ذا المال القليل، كما جاء في شعر حسان بن ثابت[١٤٣]:

نُسَوِّدُ ذَا المَالِ القَلِيْلِ إِذَا بَدَتْ ... مُرُوءَتُهُ فِيْنَا وَإِنْ كَانَ مُعْدَمَا

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

أَبَى فِعْلُنَا المَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الخَنَا ... وَقَائِلُنَا بِالعُرْفِ إِلاَّ تَكَلُّمَا

ويرسم الشاعر دريد بن الصِّمَة صورة السيد الكريم في رثاء أخيه عبد الله، الذي كان يكسو العاري وهو ممزق القميص، ولا يشبع حتى يطعم الجائعين، ويزداد عطاءً كلما ازداد فقرًا وحاجة[١٤٤]:

تَرَاهُ خَمِيْصَ البَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ ... عَتِيْدٌ وَيَغْدُو فِي القَمِيْصِ المُقَدَّدِ

وَإِنْ مَسَّهُ الإِقْوَاءُ وَالجَهْدُ زَادَهُ ... سَمَاحًا وَإِتْلاَفًا لِمَا كَانَ فِي اليَدِ

إن الكرم في أخلاق العرب طبيعة وسجية، لا مظهر وتكلّف، وهذا الكرم كان والعرب قبل الإسلام وقبل الازدهار والثراء، يقول الأستاذ أمين الريحاني:

«عَجِبْتُ لأمة تجلس في أطمارها على الأرض، وتأكل التمر، وتشرب الماء العكر، وتتحدث في الشمم والإباء، وفي الصدق والوفاء، وفي الكرم والشجاعة، وهذه الصفات العربية هي التي جذبتني، وحببت إلي الديار ومن سكن الديار، وهي التي ربطت قلبي بقلب العرب بخيط من الوبر، سألنا الله ألا ينقطع أبدًا» [١٤٥].

---

[١٤٣] حسان بن ثابت: ديوانه، ص٤٢٧.

[١٤٤] دريد بن الصمة القشيري: ديوانه، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، (١٩٨٥م)، ص٦٨.

[١٤٥] المجلة العربية، السنة الثالثة، العدد الأول، ص١٦.

www.mtenback.com

أما عن الشق الثاني من آداب الكرم، وهو ما أرسى قواعده الإسلام، فإنه يؤكد على ما عرفه العرب بالطبيعة ويؤكد على الإنفاق من طيب المال، والبعد عن الجـــود بالخبيث من النعم والأموال، فالله طيب لا يقبل إلا طيبًا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[١٤٦].

ويقول عليه السلام: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه، كما يُربي أحدكم فُلُوَّه حتى تكـــون مثل الجبل»[١٤٧].

فعلى الإنسان أن يبذل في العطاء قدر الطاقة، ولا يبخل بما أنعم الله عليـــه، وأن يعطي من طيب المال، وأن يتجنب الكسب الخبيث، «فالإنفاق من المـــال الخبيـــث يذهب الأجر، ويبطل الثواب، ويمحق البركة، ويدنس طهارته، ويهدم سماحتـــه»[١٤٨] وينبغي للمتكرم أن يتجنب المنّ والأذى، ويبتعد عن المباهاة بالعطاء، والفخر بالتفضل، حتى لا يؤذي الآخذ، بل يحافظ على الحياء، «ولذلك ينبغي لمصطنـــع المعـــروف أن يتجنب الامتنان به، وأن يتناسى ذكره، فإن ذلك من تمام الإحسان وتمام البر»[١٤٩].

ويؤكد القرآن هذا المعنى في قوله:

---

[١٤٦] سورة البقرة: ٢٦٧.

[١٤٧] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ٨، حديث رقم ١٤١٠.

[١٤٨] حلبي: الكرم والجود والسخاء، ص٤٥.

[١٤٩] جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص٢٦٧.

www.mtenback.com

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[١٥٠].

ويقول سبحانه محذرًا من المن والأذى فإنهما يبطلان الصدقة، و.. ويمنعان أثرها الطيب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ﴾[١٥١].

ويقول النبي المصطفى ﷺ محذرًا من المن:

«ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.. قال أبو ذّر: من هم يا رسول الله قد خابوا، وقد خَسِروا؟! فأعادها ثلاثًا قلت: من هم خابوا وخَسِروا، قال: المسبل، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب أو الفاجر»[١٥٢].

ومن آداب الكرم التعجيل بالعطاء، والمبادرة به، وعدم تأخيره، وكذلك البشاشة وطلاقة الوجه، والابتسام في وجه المكرم، فإن البسمة في وجه الصديق صدقة.

فلكل شيء شرف، وشرف المعروف تعجيله، وما أجمل أن يكون الإنسان هينًا لينًا سهل العريكة.

كذلك من آداب الكرم طلاقة الوجه وطيب اللقاء، فالكرماء لا يسعون الناس بأموالهم، قدر ما يسعهم بسط الوجه[١٥٣]:

---

[١٥٠] سورة البقرة: ٢٦٢ - ٢٦٣.

[١٥١] سورة البقرة: ٢٦٤.

[١٥٢] مسلم وأبو داود والترمذي.

[١٥٣] زهير بن أبي سلمى: ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص١٢٣.

www.mtenback.com

تَـرَاهُ إِذَا مَـا جِئْتَـهُ مُتَهَلِّـلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيْهِ الَّـذِي أَنْـتَ سَـائِلُهُ

ويقول حاتم(١٥٤):

أُضَاحِكُ ضَيْفِيْ قَبْلَ إِنْـزَالِ رَحْلِـهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِيْ وَالْمَحَـلُّ جَدِيْـبُ

وَمَا الْخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرَى وَلَكِنَّمَا وَجْـهُ الكَرِيْـمِ خَصِيْـبُ

ويدرك المجتمع العربي هذه القيمة، ويعرف آدابها، التي سنها العرب، وأكدها الإسلام، فيسود الود والتراحم، والأمن والسلام، في جو من التكافل والتواصل، فيسعد الناس، ويرتقي الإنسان بجوهره ويسعى المجتمع نحو الكمال.

الضيافة وآدابها:

الضيافة ظاهرة اجتماعية تراثية ومعاصرة، اشتهر بها العرب وهي صورة من صور الكرم، وفرع من أصله، وقد تخلو من عنصر الحاجة أو السؤال، أو رغبة الآخر في العطاء، أو إغاثة المحتاج بالمال والنعم، أو إنقاذ من أشرف على الهلاك فقراً أو حاجة، ولكنها سلوك متحضر راق على بداءة أصله وطبيعة منبته، فالتحضر الخلقي لا يرتبط بزمن أو مكان.

والضيافة ضرورة اجتماعية، ومظهر من مظاهر الارتقاء الإنساني، وصورة من أروع صور الكرم العربي، وأسلوب راق من أساليب التعامل البشري، والضيافة فن وعقيدة، وقيمة وخلق، لها آدابها ولها دستورها، ولها مظاهرها، ولها آثارها.

وقد لا يخلو مجتمع إنساني من هذه القيمة الاجتماعية، كما لم يخلُ عصر من الاحتفاء بها مع اختلاف في مضامين الضيافة وأشكالها بحسب خلاف المجتمعات وثقافتها، وربما كان المجتمع العربي لا يزال من أكثر المجتمعات تمسكًا بها، ومحافظة عليها، اقتداءً بسنة العرب الأجداد، واهتداء بقيم الإسلام الرفيعة.

(١٥٤) حاتم الطائي: ديوانه، ص٣٠٩.

www.mtenback.com

ويحفل التراث العربي في مصدره الإسلامي ومصدره الأدبي، بالفخر بهذه القيمة، والإشادة بها، وبأصحابها، والتغني بمناقبها ومآثرها، ويتفنن الشعر العربي، في صوره الفنية، في رسم اللوحات الأخلاقية العطرة، في الترحيب بالضيف، والتعامل معه.

وقد يختلف الحديث عن الكرم على أنه قيمة عامة أخلاقية عن الحديث عن الضيافة على أنها سلوك اجتماعي، وفي كليهما منح وعطاء، وجود وسخاء، بيد أن الضيف غير المحتاج، ذلك أن الكرم يكون على المحتاج والملهوف، أما الضيافة فقد تكون لهذين الصنفين من الناس وقد تكون لغيرهما، وربما كانت لجمع فيه الغني وفيه الفقير.

وتحفل مصادر الأدب، وكتب التاريخ العربي والإسلامي، ومجامع الأخبار، أو الروايات، بأخبار وحكايات قد يفوق بعضها حدود المنطق، ويدخل عالم المبالغة والخيال التي قد تصل أحيانًا إلى الخوارق والأساطير في حكايات تحكى عن إكرام الضيف وتبجيله واحترامه. وهذا أمر طبيعي عرفت به الذاكرة العربية الشعبية حين تُعجب ببطل ما، في ميدان من ميادين الشجاعة أو الكرم أو غيرهما، فتنسج حوله الخوارق والأساطير، حتى يكون نموذجًا يعجز من يجد له مثيلاً في الواقع والحقيقة، والدليل ما بقي من حكايات حول شجاعة عنترة، ومن أخبار حول كرم حاتم وغيرهما.

غير أن المادة العلمية الحقيقة، التي تدعو وتنظم، في منطق والتزام هي ما وردت في شرع الله الحكيم.

وقد اهتمت معاجم اللغة بتفسير مادة «ضيافة» ومنها لسان العرب [١٥٥]، في مادة ضيف «ضفت الرجل وتضيَّفته نزلت به ضيفًا وملت إليه، وقيل نزلت به وصرت له ضيفًا. وضفته وتضيفته: طلبت منه الضيافة».

[١٥٥] ابن منظور: لسان العرب مادة (ضيف).

www.mtenback.com

ومن ذلك قول الشاعر الفرزدق[١٥٦]:

وَجَدْتُ الثَّرى فينا إِذَا الشمسَ الَــثَّرى وَمَنْ هُوَ يَرْجُــو فَضْلَــهُ المُتَضَيِّــفُ

وقول القطامي:

تَحَــيَّزُ عَنِّــي خَشْــيَةً أَنْ أَضِيْفَهَــا كَمَا انْحَازَتِ الأَفْعَى مَخَافَةَ ضَــارِبِ

إذ إن هذه العجوز تتنحّى عنه وتتأخر، خوفًا أن ينزل عليها ضيفًا.

وفي حديث عائشة ضافها ضيفٌ، فأمرت له بملْحَفة صفراء.

ومن حديث الهندي، تضيفت أبا هريرة سبعًا، وأضفته وضيفته، أنزلته عليــك ضيفًا، وأملتَه إليك وقرّبته، ولذلك قيل: هو مضاف إلى كذا، أي مُحالٌ إليه. ويقــال: أضاف فلانٌ فلانًا، فهو يُضيفه إضافةً إذا ألجــأه إلى ذلــك، وفي التــنزيل: ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾[١٥٧].

وأنشد ثعلب لأسماء بن خارجة الفزاري يصف الذئب:

وَرَأَيْــتُ حَقًّــا أَنْ أُضَيِّفَــهُ إِذْ رَامَ سِــلْمِي وَاتَّقَــى حَرْبِــي

قال شمر: سمعت رجاء بن سلمة الكوفي يقــول: ضيفتــه إذا أطعمتــه، قــال والتضييف الإطعام. وتضيفته سألته أن يضيفني وأتيته ضيفًا.

قال الأعشى[١٥٨]:

تَضَيَّفْتُــهُ يَوْمًــا فَقَــرَّبَ مَقْعَــدِي وَأَصْفَدَنِــي عَلَــى الزَّمَانَــةِ قَــائِدا

---

[١٥٦] الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة: ديوانه، تحقيق: كــرم البســتاني، دار صــادر، بــيروت، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٢٨.

[١٥٧] سورة الكهف: ٧٧.

[١٥٨] الأعشى، ميمون بن قيس: ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٤٤.

www.mtenback.com

وضيفته أنزلته منزلة الأضياف، وفي التنزيل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[١٥٩]، وفيه: ﴿هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ﴾[١٦٠].

والمادة غزيرة وكثيرة ومتنوعة، وفي القرآن الكريم آيات عدة تشمل لفظة ضيفي وضيفه، وضيف، ويضيفوهما، في سورة هود، والحجر، والقمر،والذاريات وغيرها[١٦١].

وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم، اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تطعمني.. »[١٦٢].

ويزخر الحديث النبوي بأقوال المصطفى عليه السلام عن الضيافة وآدابها، وما يحق للضيف، واعتمدت المؤلفات والمصنفات المعروفة عن الضيافة على أحاديث النبي دون غيرها إلا دراسة الدكتور مرزوق بن تنباك الضيافة وآدابها، فقد جعلت الشعر العربي أغلب مادتها لما يحفل به من أشعار تعنى بالضيافة وآدابها.

ويحتفي العرب بالضيف، ويبالغون في إكرامه، ويسجل التراث الأدبي في شعره جانبًا مهما يصور هذه القيمة الاجتماعية، ويحدد بعض مظاهرها ومنها الترحيب بالضيف، وضرورة البشر، والتكريم في استقباله، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، وقبول أمره ونهيه، ورؤية فضله ومنّه بإكرامه وتحرّيه لطعامك، وإذا كان صاحب البيت عليه واجب في إكرام الضيف، فقد عدّ قبول الضيف دعوته، فضلاً منه وتكرمًا، وكأنه صاحب هذا التفضل والإكرام.

---

[١٥٩] سورة الذاريات ٢٤.

[١٦٠] سورة الحجر: ٦٨.

[١٦١] انظر الآيات الكريمة التالية: سورة هود: ٦٩،٧٨، والحجر والذاريات: ٦٩،٦٧، وسورة القمر: ٣٧، والذاريات: ٢٤،٢٧، وسورة الكهف: ٧٧.

[١٦٢] مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب البر، باب ٤٣، ٢٥٦٩.

www.mtenback.com

ولمعرس بن كرام [١٦٣]:

مَـــنْ دَعَانَـــا فَأَبَيْنَـــا ... فَلَـــهُ الفَضْـــلُ عَلَيْنَـــا

فَـــإِذَا نَحْـــنُ أَتَيْنَـــا ... رَجَـــعَ الفَضْـــلُ إِلَيْنَـــا

ويقول حسان بن ثابت[١٦٤]:

أُولَئِـكَ قَوْمِـي فَـإِنْ تَسْـأَلِي ... كِـرَامٌ إِذَا الضَّيْـفُ يَوْمًـا أَلَـمْ

عِظَـامُ القُـدُورِ لأَيْسَـارِهِمْ ... يُكِبُّـونَ فِيهَـا المُسِـنَّ السَّـنِمْ

ويقول حسان أيضًا[١٦٥]:

وَلاَ ضَيْفَنَا عِنْـدَ القِـرَى بِمُدَفَّـعٍ ... وَمَا جَارُنَا فِـي النَّائِبَـاتِ بِمُسْـلَمِ

ويقول حسان أيضًا[١٦٦]:

وَإِكْرَامُنَـا أَضْيَافِنَـا وَوُفَاؤُنَـا ... بِمَاكَـانَ مِـنْ إِلٍّ عَلَيْنَـا وَمَوْثِـقُ

ويقول كعب بن زهير[١٦٧]:

وَالمُطْعِمُونَ الضَّيْفَ حِيْـنَ يَنُوبُهُـمْ ... مِنْ لَحْمِ كُـومٍ كَالهِضَـابِ عِشَـارِ

ويكني كعب بن مالك، عن مكرم الضيف بكثرة رماد القدر في كل شتوة، كما أنه شجاع يضرب بنصل المشرفي المهند[١٦٨]:

عَظِيْمُ رَمَادِ القِدْرِ فِي كُـلِّ شَـتْوَةٍ ... ضَرُوبٍ بِنَصْـلِ المَشْـرَفِيِّ المُهَنَّـدِ

---

[١٦٣] حسان بن ثابت: ديوانه، ص٥٤٨.

[١٦٤] المصدر السابق، ص٤٢٥.

[١٦٥] المصدر السابق، ص٤٤٨.

[١٦٦] المصدر السابق، ص٣٤٣.

[١٦٧] كعب بن زهير: ديوانه، ص٥٩.

[١٦٨] كعب بن مالك: ديوانه، ص١٦٦.

www.mtenback.com

وفي شعر زيد الخيل[169]:

وَإِنِّي لَيَغْشَى أَبْعَدَ الحَيِّ جَفْنَتِي ... إِذَا وَرَقُ الطَّلْحِ الطِّوَالِ تَحَسَّرَا

ولزيد الخيل أيضًا[170]:

نَصُولُ بِكُلِّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... عَلَى اللاَّتِي بَقِيْ فِيْهِنَّ مَاءُ

عَشِيَّةَ نُؤْثِرُ الغُرَبَاءَ فِينَا ... فَلاَ هُمْ هَالِكُونَ وَلا رُواءُ

وقال لبيد[171]:

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الجَنِيْبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا

وقد جاء في بعض كتب الأدب هذان البيتان منسوبين إلى حسان[172]:

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ ... مُتَسَرْبِلٍ أَثْوَابَ مَحْلٍ مُقْفِرِ

أَوْمَى إِلَى الكَوْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ ... نَحَرَتْنِي الأَعْدَاءُ إِنْ لَمِ تُنْحَرِي

ويقول أبو ذؤيب[173]:

مَطَاعِيْمُ لِلضَّيْفِ حِيْنَ الشِّتَا ... ءِ شُمُّ الأُنُوفِ كَثِيْرُو الفَخَرْ

وفي ديوان معن بن أوس المزني أشعار كثيرة عن الكرم والضيافة، يجمع فيها بين إطعام الطعام وتوزيع المال لكسب العلا، وكسب الحمد، فالبخل لا يعقبه إلا ذم:

نَجِيبٌ يُجِيبُ المُسْتَضَافَ إِذَا دَعَا ... وَيَسْمُوْ إِلَى كَسْبِ العُلاءِ إِذَا يَسْمُو

---

(169) زيد الخيل الطائي: شعره، صنعة أحمد مختار البرزة، دمشق، دار المأمون للتراث، ط1، (1988م)، ص32.

(170) المصدر السابق، ص164.

(171) لبيد بن ربيعة العامري: ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص178.

(172) حسان بن ثابت: ديوانه، ص53.

(173) الفجر: يعني العطاء والجود.

www.mtenback.com

وَيَشْـــرَكُهُ فِـــي مَالِـــهِ بَعْـــــدَ وُدِّهِ عَلى الوَجْدِ وَالإِعْدَامِ قِسْمٌ هُوَ القِسْمُ
لِكَفٍّ مُفِيْدٍ يَكْسَبُ الحَمْدَ وَالنَّـــدَى وَيَعْلَـــمُ أَنَّ البُخْـــلَ يَعْقُبُـــهُ الـــذَّمُّ

ومن المعلوم أن مادة الكرم موزعة بين إطارين أولهمـــا المـــوروث الإســـلامي وثانيهما التراث الأدبي، ومن المؤكد أن المادة الأولى تعالج الظاهرة معالجة تختلف عـــن معالجة الشعراء لظاهرة الكرم. فالقرآن والحديث يضع شروطًا ويوضـــح ســـلوكيات تحدد الظاهرة وترقى بها وتبشر أصحابها، وترصد أهم ما يجب على صاحب الدار فعله إزاء الترحيب بضيفه والتكريم اللائق به.

ويتفق الجانب الإسلامي والأدبي في التأكيد على ظواهر مشتركة تعد من دعائم الضيافة العربية، ويضع الموروث الإسلامي أدبيات تلك الظاهرة، ويرســـم حدودهـــا الشرعية، ويهذب من بعض سلوكياتها، ويأمر الإسلام بقبول دعوة الداعي، وتلبيتهـــا، وعدم الاعتذار عنها، وتحدد الأحاديث النبوية موقف المدعو إذا كان صائمًا، والمقصود بالصوم هنا بطبيعة الحال، صيام التطوع أو النذر:

«إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطرًا فليأكل، وإن كان صائمًا فليدع بالبركة»[١٧٤].

كما يفهم إجمالاً وجوب تلبية الداعـــي، وهـــذا مـــن أول آداب الضيافـــة أو الاستضافة أو ما يجب على الضيف عملاً بقوله عليه السلام:

«أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين» [١٧٥].

ويضيف الإسلام آدابًا أخرى في إجابة الدعوة، ومنها حثه على القبول وإجابـــة الداعي الأقرب أو الداعي الأسبق، إذا كان هناك أكثر من داع، في وقت واحد، فـــإذا

---

[١٧٤] مسلم: صحيح مسلم، ج٩، ص٢٣٦.

[١٧٥] البخاري: صحيح البخاري، ص١٥٩.

www.mtenback.com

اجتمع الداعيان، فأقربهما جوارًا أحق بالإجابة، وإن سبق أحدهما الآخر فأسبقهم أوجب بالإجابة.

ويجب على المدعو أيضًا أن يقبل الدعوة أيا كانت، ولا يشترط فيها شروطًا حتى ولو دعي إلى كراع لوجب عليه أن يستجيب ففي صحيح البخاري:

«لو أهدى إلي ذراع أو كراع لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت»[١٧٦].

وقوله ﷺ: «إذا دعيتم إلى كراع فأجيبوا» [١٧٧].

ومن آداب الضيافة أيضًا التي نص عليها الحديث الشريف إكرام الضيف وقد تحدد بعض الأحاديث أيام الضيافة بثلاثة أيام، وما بعد ذلك فهو صدقة، وقد ورد أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه»[١٧٨].

وفي الحديث: «الضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة»[١٧٩].

إكرام الضيف، وإطعامه حتى لا يشعر بالخجل أو الحياء، وتوديعه إلى باب الدار، وأن يكون سيدًا في مقامه، لا يُهان أو يستخدم أو يستخف به، وعلى صاحب الدار أن يطعم ضيفه، فإن الضيف قد يستحي أن يأكل وحده، وألا يقوم صاحب الدار من الطعام، قبل أن ينتهي الضيف من طعامه، كما نهى الرسول الكريم عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر، ونهي عن إجابة دعوة طعام الفاسقين. وحق الضيف حق وجوب، والتقصير في حقه إثم، وإذا عجز المضيف عن أداء حق ضيفه، وهو قادر،

---

[١٧٦] البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ص٣٢.

[١٧٧] مسلم: صحيح مسلم، ج٩، ص٢٣٥.

[١٧٨] البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص١٣، ومسلم، ج٢، ص١٨، وأحمد، ج٤، ص٣١.

[١٧٩] البخاري، ج٨، ص١٣، أبو داود، ج٩، ص٣٧٤.

www.mtenback.com

أو بخل في القيام بواجبه، أو أهمل استقباله أو قصر في الترحيب به، وأخل بواجب الضيافة فإن حق الضيف يلزم المسلمين جميعًا، حتى يأخذ بطعام ليلة من مال مضيفه. فإذا حرم الضيف من حقه فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه، فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى ليلة من زرع ومال.

ويؤكد الموروث الإسلامي ويشترك مع التراث الأدبي في الحث على حسن الضيافة، ويفتخر الشعر العربي بإكرام الضيف، لما في ذلك من مودة ومحبة، وتقوية للروابط بين المسلمين وتدعيمًا لأواصر القربى والمحبة في القلوب. حتى أصبح إكرام الضيف من مواصفات المؤمنين بالله واليوم الآخر.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة غُرفًا يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها، فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؛ قال: «هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، أدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام»[١٨٠].

وقد ذكر ابن العمار[١٨١]، الضيفن: الرجل الذي لا يعزم عليه، ولكن إذا رأى الضيوف تبعهم، واستحى منه صاحب المنزل أن يمنعه من الدخول معهم، وقال والضيفن هو الطفيلي.

ويُستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام، والمواظبة على قرى الضيف، ومن عرف بإطعام الطعام، نال الشرف عند الشاهد والغائب، وقصده الراضي والعاتب، وقرى الضيف يرفع المرء وإن لم يشرف نسبه إلى منتهى بُغْيَتِه ونهاية محبته، وبشرّفه برفيع الذكر وكمال الذخر[١٨٢].

---

[١٨٠] الترمذي: الجامع، كتاب صفة الجنة، باب ٣١، حديث ٢٥٢٧.

[١٨١] آداب الأكل، دار الكاتب العلمية، بيروت، ص٢٧.

[١٨٢] محمد أحمد جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، انظر: ص ٢٧١.

www.mtenback.com

والعرب لم تكن تعد الجود إلا قرى الضيف وإطعام الطعام، بل عدّ العرب إطعام الضيف هو الكرم والجود والسخاء، والبخيل في نظرهم من بخل بإطعام الطعام، وربما سار العربي في طلب الضيف الميل والميلين، ونعم الله إن لم تؤد حقوقها بالإنفاق منها من وجوه الخير ترجع من حيث بدأت[١٨٣].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لكل شيء شرف، وشرف المعروف تعجيله، ومن أمثال الحكماء: وعد الكريم إنجاز وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل، ومن كلام بعض الحكماء: التؤدة في كل شيء محمودة إلا في اصطناع المعروف.

وقد حفل الشعر العربي فخراً بالضيافة وبالحث على إكرام الضيف، وإطعام الطعام، وكان في الشعر العربي قبل الإسلام ما يؤكد أن التقصير في إكرام الضيف كان خسة ونذالة، ومما هجا به الشعراء غيرهم.

وفي الأخبار والتاريخ أن الضيافة كان لها أصولها ومصادرها ومظاهرها، وقد يعود هذا الأمر إلى العرب قبل الإسلام، وإلى تلك الظاهرة التي عرفت عند قريش بالرفادة والإرفاد، هي من فضائل العرب ومآثرهم «وهي في الأصل تقديم الطعام للحجاج أو ضيافة الحاج في الموسم وهي واجبة على أهل مكة بصفتهم أهل الحرم أو أهل الله، كما تقول العرب» [١٨٤].

ولقد احتال العرب للأمر إذ جمعوا على الرفادة، وهي أن يخرج كل رجل منهم مالاً بقدر طاقته، فيجمعون المال كله في يد أحدهم فيشتري به للحجاج الخبز والطعام والزبيب والشراب، فيسقون الناس ويطعمونهم حتى تنقضي أيام الموسم، وجعلوا من يقوم على الرفادة أشرف بيوت قريش [١٨٥].

---

[١٨٣] جاد المولى، الخلق الكامل، ج٤، انظر: ص ٢٧١.

[١٨٤] ابن تنباك: الضيافة وآدابها، ص٦٣.

[١٨٥] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ر.ف.د).

www.mtenback.com

ولم يعرف عن العرب أنهم أخذوا عوضًا عما يقدمون للضيف من ضروب الإكرام والقرى مهما كان المضيف فقيرًا، ويرى بعضهم أن الموت عنده أخف من أن يبخل على ضيفه، والضيف واجبه حتمي، وإكرامه ضروري، وقد يحتال العربي الذي لا مال عنده في إكرام الضيف، وربما يفصد راحلة الضيف، كما جاء في المثل «لم يحرم من قصد له».

وفي ضوء هذه الإشارات والدلالات الاجتماعية كان الشعر العربي وهو ديوان العرب يسجل كل هذه الآداب، ويرصد المظاهر، وربما بدا أن أبرز ما فخر به الشاعر العربي أمران هما الكرم، والشجاعة، وأظهر ما يفخر به الشعر العربي في ميدان الكرم، إطعام الضيف.

ومن تلك المعاني التي حفل بها شعر الفخر بإكرام الضيف لوم اللائمين حين يبالغ الكريم في إكرام ضيفه، فيرد على اللائمين ويرى أن اللوم واجب على من يبخل على ضيفه.

يقول، حاتم الطائي[١٨٦]:

وَقَائِلَةٍ أَهْلَكْتَ فِي الجُودِ مَالَنَا ... وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودُهَا

فَقُلْتُ دَعِينِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَةٌ ... لِكُلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا

ويقول حاتم أيضًا[١٨٧]:

فَلُومِينِي إِذَا لَمْ أَقْرِ ضَيْفِي ... وَأُكْرِمْ مُكْرِمِي وَأَهِنْ مُهِينِي

ويقول أيضًا:

وَإِنَّا لَنُطْعِمُ أَضْيَافَنَا ... مِنَ الكُومِ، بالسَّيْفِ نَعْتَامُهَا

---

[١٨٦] حاتم الطائي: ديوانه، ص١٦٠.

[١٨٧] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

ويقول حاتم كذلك جامعًا بين إكرام الضيف وشجاعته وطعن الأعداء[188]:

وَإِنِّي لأَقْرِي الضَّيْفَ، قَبْلَ سُؤَالِهِ ... وَأَطْعَنُ قِدْمًا، والأسِنَّةُ تَرْعُفُ

ويرد حاتم الطائي على اللائمة، ويرى أن البخيل يجني سوء الثناء، وأن الوارثين يرثون إبله، أما الكريم المضياف الذي يقري من ينزل به، يخلفه الذكر الطيب:

مَهْلاً نَوارُ، أَقِلِّي اللَّوْمَ وَالعَذْلا ... وَلا تَقُولي، لِشَيْءٍ فَاتَ، مَا فَعَلا؟

وَلا تَقُولي لِمَالٍ، كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلاً، وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الجِنَّ وَالخَبَلا

يَرَى البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً ... إِنَّ الجَوادَ يَرَى، فِي مَالِهِ، سُبُلا

إِنَّ البَخِيلَ، إِذَا مَا مَاتَ، يَتْبَعُهُ ... سُوءُ الثَّناءِ، وَيَحْوِي الوارِثُ الإِبِلا

فَاصْدُقْ حَدِيثَكَ، إِنَّ المَرْءَ يَتْبَعُهُ ... مَا كَانَ يَبْنِي، إِذَا مَا نَعْشُهُ حُمِلا

لَيْتَ البَخِيْلَ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... كَمَا يَرَاهُمْ، فَلا يُقْرَى، إِذَا نَزَلا

لا تَعْذُلِيني عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ ... رَحْمًا، وَخَيْرُ سَبِيْلِ المَالِ مَا وَصَلا

ويتحدث الشاعر حاتم الطائي في قصيدة له، يفتتحها بخطاب اللائمة والمعاتبة له على بذل ماله، وإكرامه الضيف، ويرى أن ذلك الإكرام واجب وهو الذي يسوّده، وأن البخيل لا يخلد والمضياف لا يتلف، وعليكم بأن تأكلوا ما رزقنا به اليوم، وعلى الرحمن رزق الغد، ولا يحافظ من ماله إلا على الرمح والسيف القاطع[189]:

ذَرِينِي وَمَالِي إِنَّ مَالَكِ وَافِرٌ ... وَكُلُّ امْرِىءٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا

ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي جُنَّةً ... يَقِيْ المَالُ عِرْضِي، قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَدَا

---

(188) حاتم الطائي: ديوانه، ص٢٢٣.

(189) المصدر السابق، ص٧٨، ٧٩، السويف: شحم سنام البعير، وهو أطيب لحم المسرهد، السمين الممتلىء، الأسحر: الرمح، الخطر: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح، العضب: السيف القاطع.

www.mtenback.com

أَرِيني جَوادًا مـــاتَ هُـــزْلاً، لَعَلَّنـــي ... أَرَى ما تَرَيْـــنَ، أَوْ بَخِيـــلاً مُخَلَّـــدَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي، إِذَا الضَّيْـــفُ نَـــابَنِي ... وَعَزَّ القِرَى، أُقْرِي السَّدِيْفَ المُسَرْهَدَا
يَقُولُونَ لِي: أَهْلَكْتَ مَالَكَ، فَـــاقْتَصِدْ ... وَمَا كُنْتُ، لَوْلاَ مَا تَقُولُـــونَ، سَـــيِّدَا
كُلُوا الآنَ مِنْ رِزْقِ الإِلهِ، وَأَيْسِـــرُوا ... فَإِنَّ، عَلَى الرَّحْمَانِ، رِزْقُكُـــمُ غَـــدَا
سَأَذْخَرُ مِنْ مَالِي دِلاَصًـــا، وَسَـــابِحًا ... وَأَسْـــمَرَ خَطِّيًّـــا، وَعَضْبًـــا مُهَنَّـــدَا

ويقول غير حاتم في مخاطبة اللائمة على الكرم، أو المعاتبة على المبالغة في الكرم وهو حسان حين يقول[١٩٠]:

لَكِ الخَيْرُ غُضِّي اللَّوْمَ عَنِّـــي فَـــإِنَّنِي ... أُحِبُّ مِنَ الأَخْلاَقِ ما كَـــانَ أَجْمَـــلا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي أَرَى البُخْـــلَ سُـــبَّةً، ... وَأُبْغِـــضُ ذَا اللَّوْنَـــينِ وَالمُتَنَقِّـــــلا

ويوجه الشاعر معن بن أوس أيضًا حديثه إلى العاذلة أو اللائمة، وهي تلومه على كرمه، وعلى بذله المال، سائلاً إياها ما ادخّر البخيل لنفسه، وهل يخلّد المال صاحبه؟

ويأتي معن بصورة مبتكرة للعاذلة، حين يجعلها نادبةً ونائحة عليه، حين موتـــه، طالبًا منها أن تنعيه بأنه كان كريمًا، وكان لا يطيع لوم العاذلات، ولا يـــرى البخـــل يصنع حصنًا مشيدًا لصاحبه من الموت[١٩١]:

إِذَا زَالَ نَعْشِـــي وَاعْـــتَرَتْنِي مَنِيَّتِـــي ... وَصَاحَبْتُ فِي لَحْدِي الصَّفِيْحَ المُنَضَّدَا
فَقُوْلِي فَتًى ما غَيَّبُوا فِـــي ضَرِيْحِهِـــمْ ... تَزَوَّدَ من حُبِّ القِـــرَى مـــا تَـــزَوَّدَا
أَبَى لا يُطِيْعُ العَـــاذِلاَتِ وَلاَ يَـــرَى ... مِنَ المَوْتِ حِصْنًا لِلْبَخِيْـــلِ مُشَـــيَّدَا

[١٩٠] حسان بن ثابت الأنصاري: ديوانه، ص٤٠١.

[١٩١] معن بن أوس: ديوانه، ص٣٦.

www.mtenback.com

ويشترك الشاعر مسكين الدارمي بمعان جديدة، مع معن بن أوس في رسم صورة النائحة على الكريم الراحل،وكأنه يصف نفسه، ويفخر بمكارم أخلاقه، ويرى أن ما يخلد ذكرى الإنسان هي الأفعال الحميدة ولا سيما الكرم، والترحيب بالضيف، ومضاحكته وملاطفته، فيقول للناعين [١٩٢]:

إِذَا متُّ فَانْعِيْنِي لأَضْيَافِ شُقَّةٍ ... رَمَى بِهِمُ دَاجٍ بَهِيْمُ الغَيَاطِلِ

وَلَسْتُ بِوَقَّافٍ إِذَا الخَيْلُ أَسْرَعَتْ ... وَلَسْتُ بِعَبَاسٍ إِلى الضَّيْفِ بَاسِلِ

وَلَكِنَّهُ يَلْقَاهُ مِنِّيْ تَحِيَّةٌ ... وَيَأْتِيهِ قَبْلَ العُذْرِ بَذْلِي وَنَائِلِي

وَيَلْقَاهُمُ وَجْهِيْ طَلِيْقًا وَعَاجِلاً ... قِرَايَ وَمِنْ خَيْرِ القِرَى كُلُّ عَاجِلِ

ومن الواضح أن معظم هذه الأفكار التي أتى بها الشاعر مسكين الدارمي في لوحته الرائعة، قد أمر بها الإسلام في القرآن والحديث والسنة وأخبار الصحابة والتابعين؛ فقد جمع الشاعر مسكين في لوحته أبرز آداب الضيافة وأهم أركان الكرم، فهذا ضيف غريب طارق، أجبرته ظروفه على ما وقع له، وهذا أصل الكرم وجوهره، إغاثة الملهوف، وإعانة الغريب الضال، وفي ذلك إشارة إلى مبلغ الحاجة لطالب القرى وقسوة الحياة، وأهمية الضيافة، ووجوب الكرم، وإلا هلك الضال وضاع الغريب.

ومن خلق الكرم ألا يتجهم وجه صاحب الدار أو يعبس في وجه ضيفه، بل يلقاه بالود والترحاب. والضحك والملاطفة.

ويبذل له كل ما في طاقته ليكرمه ويسعده، ويبالغ في أداء واجبه ولا يقصر فيه.

ويزيد في التبجيل والإكرام، عدم تأخير قراه أو تسويفه، وقد يصل هذا الضيف الذي أجبرته الظلماء وبرودة الشتاء، فيرى مضيفه قد رحل، فينعاه بما هو أهله.

---

[١٩٢] مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر بن أنيف، ديوانه، جمعه: عبد الله الجبوري، مطبعة دار البصري، بغداد، (١٩٧٠م)، ص٥٨.

www.mtenback.com

ومن مضامين الشعر العربي البارزة في ميدان الكرم، مدح الكرماء، ويشغل حيزًا لا بأس به في ساحة الشعر العربي، والشعر في أساسه وفي معظمه شعر مدح وشعر عطاء، وشعر المدح أول ما يشغله هو مدح الكرماء الباذلين أموالهم الواهبين النعم على الشعراء وعلى غيرهم.

ويتفنن الشاعر العربي في هذا المعنى حتى يجدد في صياغة صور المدح، وحتى لا يقلد أو يكرر معنى سُبق إليه، وتسعفه الصورة الفنية والتجديد في أبنيتها في تطوير الفكرة وتجديدها، ولكل عصر من عصور الأدب ظواهره الفنية في تشكيل صورة المدح وصياغتها، فهذا الأعشى شاعر الجاهلية يمدح من استضافه، في قوله[١٩٣]:

تَضَيَّفْتُ يَوْمًا عَلَى نَارِهِ ... مِنَ الجُودِ فِي مَالِهِ أَحْتَكِمْ

ويقول الأعشى أيضًا[١٩٤]:

المُطْعِمُو اللَّحْمَ، إِذَا مَا شَتَوْا، ... وَالجَاعِلُو القُوتَ عَلَى اليَاسِرِ

وتكاد تأخذ صورة المدح بالكرم في الجاهلية منحىً خاصًا يمثل العصر في تركيز المادح على الطعام والإطعام، والشتاء والبرودة، والحاجة وملاطفة الضيف حتى احتلت صورة القدر أو القدور التي يعد فيها الطعام مكانًا بارزًا في لوحات الكرم في شعر الجاهلية، فهذا قدوره منصوبة، وهذا عظيم رماد القدور، وهذه قدر بفناء بيته سوداء فخمة تلقم أوصال الجزور. وهذا الشاعر أمية بن أبي الصلت، يصف قدور أحد الكرماء[١٩٥]:

وَقُدُورُهُ بِفِنَائِهِ ... لِلضَّيْفِ مُتْرَعَةٌ زَوَاخِرْ

---

[١٩٣] الأعشى: ديوانه، ص٨٥.

[١٩٤] المصدر السابق، ص١٨٣.

[١٩٥] أميّة بن أبي الصلت: ديوانه، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٣٨.

www.mtenback.com

وأواني الطعام، والرماد والنيران، وما يوضع في القدور من لحوم، كلها من مفردات صورة الكرم، التي سجلها الشعر العربي، افتخاراً بمآثر الكرماء من العرب الأسخياء، ويهتم بعض الشعراء، بوصف صورة القدور كناية عن الكرم، وكثرة الطعام، وإكرام الضيف، وهذا معنى من معاني الشعر العربي في وصفه قيمة الكرم منذ الجاهلية، وترى النابغة الذبياني يصف القدر في قوله[١٩٦]:

لَهُ بِفَنَاءِ البَيْتِ سَوْدَاءُ فَخْمَةٌ تَلَقَّمُ أَوْصَالَ الجَزُورِ العُرَاعِرِ
بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُورِّثَتْ لآلِ الجَلاَحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

أما المقنع الكندي، فيصف كبر قدره، فهي جفنة ما يغلق الباب دونها، مملوءة لحمًا وثريدا[١٩٧]:

وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغلَقُ البَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةٍ لَحمًا مَدَقَّةٍ ثَرْدَا

وابن مقبل الشاعر يصف القدر أو الجفنة بالجوفاء وهي الجفنة الواسعة، وهي مملوءة لحمًا وخبزاً يقدمها ولا يبخل بها فيقول[١٩٨]:

وَجَوْفَاءَ يَجْنَحُ فِيهَا الضَّرِيكُ لِحِينِ الشِّتَاءِ جُنُوحَ العَرِنْ
مَلأَتُ،فَأَتْرَعْتُهَا تَابِلِي عَلَى عَادَةٍ مِنْ كَرِيمٍ فَطِنْ

أما ابن الرومي فيشبه قدور ممدوحه ومايتعاورها من جفان بالبئر وما يتعاقب فيها من الدلاء فيقول[١٩٩]:

بِسَاحَتِهِ قُدُورٌ رَاسِيَاتٌ تُفَارِطُهَا جِفَانٌ كَالْجَوَابِي

---

[١٩٦] ديوان النابغة الذبياني، ص٢١٧.

[١٩٧] القيسي: شعراء أمويون، ج٤، ص٢٠٣ وما تلاها.

[١٩٨] ابن مقبل: ديوانه، ص٢٩٩، الجوفاء: الجفة الواسعة، الضريك: البائس السعر دائر يصيب الإبل.

[١٩٩] ابن الرومي: ديوانه، ج١، ص٢٥٠.

www.mtenback.com

ويجمع الشاعر بين الكرم والشجاعة، وترتبط صورة القدر بكثرة رماده، وبنحر الذبائح، وعقر الكوم الجلاد، كما فعل كعب بن مالك في قوله راثيًا حمزة رضي الله عنه[٢٠٠]:

قَوْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدَدُ

وَالعَاقِرُ الكُومِ الجَلاَدِ إِذَا غَدَتْ ... رِيْحٌ يُكَادُ المَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ

وهي خلق عربي أصيل ذلك أن الرثاء هو مدح للميت بجنس العمل المقبول اجتماعيًا المدح فيه وتقرير صفات المرثي والحديث عن فضائله، وقد تعشق العرب الكرم قولاً وفعلاً، وأحسنوا توصيف أهل الجود ورتبوا مواقف الفضل.

ومن المضامين البارزة في شعر الكرم رثاء الموتى من الأجواد، «فقد عظم الشعراء موت الرجل الجواد، وأبرزوا مكانه في المجتمع، وأظهروا حاجة الطارقين إليه، وجعلوا قيامه بواجب الضيافة واهتمامه بتقاليدها الاجتماعية أعظم مناقبه، وخير ما يذكر عنه»[٢٠١].

وللخنساء نصيب في رثاء الكرماء، وشعرها يحفل بصور كثيرة، ومعان عديدة من كرم الضيافة، ولعل من أبرز مضامين شعرها وأغراضه رثاء أخيها صخر، والإشادة بمآثره التي يبكي عليها الكرم والعطاء، ولا سيما إطعام الأضياف وإكرامهم، وقد جاء في بعض شعرها[٢٠٢]:

فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ شَمَالٌ ... مُزَعْزَعَةٌ تُجاوِبُهَا صَبَاهَا

---

[٢٠٠] كعب بن مالك الأنصاري: ديوانه، ص١٩٠.

[٢٠١] ابن تنباك: الضيافة وآدابها، ص٩٨.

[٢٠٢] الخنساء، تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، دار بيروت، بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص١٦٠.

www.mtenback.com

هُنالِكَ لَـــوْ نَزَلْـتَ بِـآلِ صَخْـرٍ قِرَى الأَضْيَافِ شَحْمًا مِـــنْ ذُرَاهَـا

وتقول الخنساء أيضًا[٢٠٣]:

وَابْكِـــيْ أَخَـاكِ لأَيْتَـامٍ وَأَرْمَلَـــةٍ وَابْكِيْ أَخَاكِ لِحَقِّ الضَّيْفِ والجَـــارِ

ومن المعروف أن الخنساء لم تكن الشاعرة الوحيدة التي رثت الأجواد من كرام العرب، فهذا الشاعر الأموي جرير بن عطية الخطفى يرثي كريمًا بقوله[٢٠٤]:

إِذَا الأَمْرُ نَابَ الحَيَّ لَمْ يُقْضَ دُونَـــهُ وَإِنْ طَرَقَ الأَضْيَافُ لَيْـــلاً تَبَسَّـــمَا

وهذا أبو قيس بن صيفي بن الأسلت، يقول[٢٠٥]:

وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيْفٍ مُسَـــوَّدٍ طَوِيْلِ العِمَادِ ضَيْفُـــهُ غَـــيرُ خَـــائِبِ

عَظِيمِ رَمَادِ القِـــدْرِ يُحْمَـــدُ أَمْـــرُهُ وَذِيْ شِيْمَةٍ مَحْضٍ كَرِيْمِ المَضَـــارِبِ

هذه بعض مضامين شعر الكرم في التراث العربي، قبل أن يتجه البحث لدراسة هذا الشعر دراسة فنية ومن المعروف أن شعر الكرم استغرق مساحة كبيرة من وجـــدان الشعراء، وقد وردت هذه القيمة الإنسانية الخلقية وهي الكرم على ألســـنة الشـــعراء بصورة لافتة للنظر إذ تردد ذكرها في نتاجهم الشعري، وخصوصًا في القرون الثلاثـــة الأولى، كما ذكر مؤلف كتاب الضيافة وآدابها حين قال «فليس أظهـــر في شـــعر العرب من الكرم والفخر به، وتأكيده في أقوالهم وأفعـــالهم، وفي منـــاقبهم، ومحـــامد أجوادهم»[٢٠٦].

---

[٢٠٣] الخنساء: ديوانها، ص٧٥.

[٢٠٤] جرير بن عطية الخطفي: ديوانه، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعـــارف، القـــاهرة، مصـــر، (١٩٦٩م)، ص٥٠٤.

[٢٠٥] ديوان قيس بن الأسلت، ص٦٧.

[٢٠٦] ابن تنباك: الضيافة وآدابها في الشعر العربي القديم، ص٥.

www.mtenback.com

ولا يتخلى العربي عن كرمه، حتى لو ذبح ناقته التي تدر لأولاده اللبن، فقد ينحرها لضيفه، وقد يصل به الأمر إلى ذبح فرسه، وتتكرر عبارة أخوشتوات أو «الشتاء» أو في شتوة[٢٠٧]:

وَنَدَىً إِذَا فُقِدَ النَّدَى ... يَتَتَبَّعُ العَافِي مُصَابَه

قَوْمٌ إِذَا صَدْعٌ تَفَا ... قَمَ مَرَّةً كَانُوا رِئَابَه

وَإِذَا شِتَاءٌ أَخْلَفَتْ ... أَنْوَاؤُهُ خَلَفُوا سَحَابَهْ

جُعِلَتْ بُيُوتَهُمُ مَعَ الْـ ... ـبَيْتِ العَتِيقِ لَنَا مَثَابَهْ

غَيْثٌ إِذَا اسْتَمْطَرْتَهُ ... أَلْفَيْتَ مِنْ ذَهَبٍ ذَهَابَه

وفي إحكام الشتاء يقول حسان[٢٠٨]:

وَإِنَّا إِذَا مَا الأُفْقُ أَمْسَى كَأَنَّمَا ... عَلَى حَافَتَيْهِ مُمْسِيا لَوْنُ عَنْدَمِ

لَنُطْعِمُ فِي المَشْتَى وَنَطْعَنُ بِالقَنَا ... إِذَا الحَرْبُ عَادَتْ كَالحَرِيقِ المُضَرَّمِ

ويقول حسان أيضًا[٢٠٩]:

وَيَشْرَبُ تَعْلَمُ أَنَّابِهَا ... إِذَا قَحَطَ القَطْرُ نَوْآنَهَا

ويجدد زيد الخيل في المعنى ذاته ويكني عن الشتاء وقسوته بصورة أخرى، يرى فيها ورق الطلح الطوال تحسر، فيجد في تلك الحالة الفرصة مواتية لإطعام البائسين، واستضافة المعوزين، فيقول[٢١٠]:

---

[٢٠٧] ابن الرومي: ديوانه، ج١، ص١٦٢، ص١٦٣.

[٢٠٨] حسان بن ثابت الأنصاري: ديوانه، ص٤٤٩.

[٢٠٩] المصدر السابق، ص٤٦٩.

[٢١٠] زيد الخيل: ديوانه، ص٣٢.

www.mtenback.com

وَإِنِّيْ لَيَغْشَى أَبْعَـــدَ الحَـــيِّ جَفْنَتِـــيْ إِذَا وَرَقُ الطَّلْحَ الطَّـــوَالِ تَحَسَّـــرا

ويؤكد معن بن أوس المزني المعنى نفسه في تعبيره «أخو شتوات» في قوله[٢١١]:

أَخُـــو شَـــتَوَاتٍ لا تَـــزَالُ قُـــدُورُهُ يُحِلُّ عَلَـــى أَرْجَائِهَـــا ثُـــم يُرْحَـــلُ

إِذَا ما انْتَحَاهَـــا المُرْمِلُـــونَ رَأَيْتَهَـــا لِوَ شْكِ قِرَاهَا وَهْيَ بِـــالجَزْلِ تُشْـــعَلُ

ويطعم الأضياف والمحتاجين كذلك وقت البؤس، حين يشتكي الناس من الحرب في هذا العام، فيقول معن بن أوس أيضًا[٢١٢]:

مَطَاعِيمُ في البؤسَـــى لمَـــن يعـــتريهم إذا يشتكي في العام ذي السَّـــنة الأزم

وحسان بن ثابت يمدح بالإطعام في سنين[٢١٣]:

المَطْعِمُـــــونُ إِذَا سِـــــنُو نَ المَحْـــلِ تُصْبِـــحُ رَاكِـــدَه

وعبد الله بن الزبعرى، يمدح آل عبد مناف، ويصفهم بالكرم، وحسن الضيافة، ومن أبرز ما وصفهم به، تلك القيمة التي نحن بصددها وهي صفة الكرم وقت الجـــدب والشدة، فهم يتفضلون على غيرهم وقت المحل، بل في زمن الشدائد المتعاقبة، يقولـــون هلم للأضياف، ويأخذون بيد فقيرهم حتى يكون مكتفيًا، ويصبح مثـــل غنيّهـــم، إذ يقول[٢٣٦]:

يَا أَيُّهَـــا الرَّجُـــلُ المُحَـــوِّلُ رَحْلَـــهُ هَـــلاَّ نَزَلْـــتَ بِـــآلِ عَبْـــدِ مَنَـــافِ

هَبَلَتْكَ أُمُّـــكَ لَـــوْ نَزَلْـــتَ عَلَيْهِـــمُ ضَمِنُوكَ مِنْ جُـــوْعٍ وَمِـــنْ إِقْـــرَافِ

---

[٢١١] معن بن أوس المزني: ديوانه، ص٧٩.

[٢١٢] المصدر السابق، ص١٠٥.

[٢١٣] ديوان حسان: ديوانه، ص٥٣.

[٢٣٦] المصدر السابق، ص٢٥١.

www.mtenback.com

الآخِـذُونَ العَهْـدَ مِـنْ آفَاقِهَـا وَالرَّاحِلُـونَ لِرِحْلَـةِ الإِيْـلاَفِ
وَالمُفْضِلُـونَ إِذَا المُحُـولُ تَرَادَفَـتْ وَالقَـائِلُونَ هَلُـمَّ لِلأَضْيَـافِ
وَالخَـالِطُونَ غَنِيُّهُـمْ بِفَقِـيْرِهِمْ حَتَّـى يَكُـونَ فَقِـيْرُهُمْ كَالكَـافِي
كَـانَتْ قُرَيْـشٌ بَيْضَـةً فَتَفَلَّقَـتْ فَـالمُحُّ خَالِصَـهُ لِعَبْـدِ مَنَـافِ

ويقول معن في المعنى نفسه وهو كرم الشتاء[٢١٤]:

تَحُـفُّ المُرْعَـاتِ إِذَا شَـتُونَا إِذَا النَّكْبَـاءُ عَـاقَبَتِ الشَّـمَالاَ

ويتفنن حسان في تصوير المعنى، فيرى أن آفاق السماء اغبَّرت وأمحلت، كأن عليها ثوب،وفي هذه الحالة ترى القدور والطعام والتفاف المحتاجين المتأثرين بقسوة هذه الطبيعة حولهم، فيقول حسان[٢١٥]:

إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّـمَاءِ وَأَمْحَلَـتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثَوْبَ عَصْـبٍ مُسَـهَّمَا

لقد اهتم الشعراء في تصويرهم قيمة الكرم برسم ملامح الشدة حين تقسو الحياة وحين يكون الكرم واجبًا، وعبّر بعضهم صراحة عن الجدب والمحل والأنواء والرياح ولا سيما في فصل الشتاء، وعبّر قلّة بالكناية عن هذه الحال، حتى يبدو ذلك المعنى، وهو كرم الشتاء أو كرم المحل والجدب والأنواء من المضامين الظاهرة في شعر الكرم.

وقد يضاف إلى هذه المضامين، مخاطبة الكريم أو توجيه الحديث إلى الممدوح بالكرم، ووصفه بخصال حميدة أخرى، فلم يكن كريمًا في بذله المال وفي عطائه سخائه، وترحيبه بالضيف فحسب، بل كان أيضًا شجاعًا وسمحًا وذا مروءة فقد جمع مع الكرم القيم الإنسانية والأخلاقية المحمودة، وهذا أمر طبيعي لا تناقض فيه، فباذل

---

[٢١٤] معن بن أوس: ديوانه، ص٥٢.

[٢١٥] حسان: ديوانه، ص٤٢٣.

www.mtenback.com

ماله يمكن أن يبذل جهده وروحه من أجل حماية الضعفاء، كما أنه بالضرورة يتحلى بقيم أخلاقية أخرى، فلا يجتمع الكرم مع الجبن أو مع النذالة والخسة وغيرهما، ونجد بعض الشعراء يسلط عدسته لتصوير الكرم فحسب، وآخرين يجمعون معه بعض الخصال المحببة، ولكن الكرم أظهر ما فيها بل هو أصلها وجوهرها. ومن هذه الخصال حماية الجار من الجوع والفقر، ووجوب رعايته والعطف عليه، فمن العار أن يكون القادر به بطنة، وجاره نحيف ونساؤه طاويات، حين يرفض حاتم هذه الصفة وينكرها فيقول[٢١٦]:

وَإِنِّي لأَخْزَى أَنْ تُرَى بِيَ بِطْنَةٌ وَجاراتُ بَيْتي طاوِياتٌ، وَنُحَّفُ

ويجتمع الكرم مع الشجاعة، ويفخر الشاعر بكرمه وشجاعته، ويمدح الشعراء الممدوحين بالعطاء والفداء، وهاتان سمتان سيطرتا على معظم مدائح الشعر العربي القديم، وقد يفوق الكرم الشجاعة في كثرة ذكره في شعر العرب، وإن لم يفقه في قيمته وفي تضحيته، وذلك لأن الكرم قد يشغل وقت الممدوح كله، في حين أن القتال في وقت المعركة فقط، كما أنه ليس بالضرورة أن يكون كل كريم مقاتلاً، وإن جمع بعض الشعراء مع الكرم والشجاعة والإباء والقوة.

وأغلب ما يظهر ذلك في شعر المدح بطبيعة الحال، فقد تنافس الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء، والقادرين على العطاء، وتنوعت في العصر العباسي وظائف الدولة نتيجة للحضارة واتساع العمران، وتعقد شؤون الملك للنهوض بأعباء الحكم، فكان إلى جانب الخليفة والأمير والوالي والوزير والقاضي شعراء يتكسبون من شعرهم، ويبتغون المال في رحابهم، فتوسل الشعراء بالمدح للتكّسب والحماية والطمع في العطاء.

---

[٢١٦] حاتم الطائي: ديوانه ص١٠٣.

www.mtenback.com

ويتنافس الشعراء في مدح القادرين، ويعجز البحث عن أن يفي حقهم في الذكر والإشادة، لكثرة ما روي من شعر مدح الكرم في ديوان الشعر العربي، حتى إن قيمة الكرم في العصر العباسي وحده تشكل مبلغًا عظيمًا من المادة الشعرية، وربما نقول إن هذه القيمة وحدها في ديوان البحتري تصلح أن تشكل موضوعًا خاصًا بالدراسة، أو في ديوان ابن الرومي أو غيرهما من الشعراء.

وهذا الشاعر العباسي دعبل بن علي الخزاعي يمدح المطلب بالكرم، فيجعل ندى المطلب فوق كل ندى، وجوده يفوق كل جود من جاء بعده، ويدعو لزمن المطلب بالسقيا، وهو دعاء مستمد من التراث، ويجعل عصره روضة وجنة، فيقول[٢١٧]:

زَمَنِي بِمُطَّلَبٍ سُقِيْتَ زَمَانًا ... مَا كُنْتَ إلاَّ رَوْضَةً وَجِنَانَا

كُلُّ النَّدى ـ إلاَّ فَدَاكَ ـ تَكَلُّفٌ ... لِمْ أَرْضَ غَيْرَكَ كَائِنًا مَنْ كَانَا

ويعتمد الشعراء على بعض عناصر التراث فهم مطاعيم في الإعسار[٢١٨]:

مَطَاعِيْمُ في الإِعْسَارِ، في كُلِّ مَشْهَدٍ ... لَقَدْ شَرُفُوا بِالفَضْلِ وَالبَرَكَاتِ

ولا يقبل الكرماء الشكر والثناء في أماديح الشعراء إلا إذا أسبغوا نِعَمهم على العفاة والمحرومين، فكانوا مستحقين لذلك المديح، وذلك من المعاني المتداولة عند معظم الشعراء، فيرى دعبل في الكرماء[٢١٩]:

لا يَقْبَلُونَ الشُّكْرَ مَا لَمْ يُنْعِمُوا ... نِعَمًا يَكُونُ لَهَا الثَّنَاءُ تَبِيْعَا

ومن صور دعبل في الكرم ما يجعل الكريم شاكرًا من أكرمه[٢٢٠]:

---

(٢١٧) دعبل الخزاعي: ديوانه، ص٣٥٧.

(٢١٨) المصدر السابق، ص١٣٣.

(٢١٩) المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٢٢٠) المصدر السابق، ص٢٧١.

www.mtenback.com

إِنْ جَـــاءَهُ مُرْتَغِبًـــا سَـــــائِلٌ آلَـــتْ إِلَيْـــهِ رَغْبَـــــةُ السَّـــــائِلِ

وما ينفق من مال الكريم يعده غنما، لأنه يكسب به ثناء ورضـــا الآخريـــن، فيمدح كريمًا بقوله[٢٢١]:

يَعُـــدُّ مَـــا أَنْفَـــقَ مِـــــنْ مَالِـــهِ غُنْمًـــا، وَمَـــا وَفْـــرُهُ غُنْمَـــا

وهذا المعنى قريب من قول أبي نواس:

فَتًى يَشْتَرِي حُسْـــنَ الثَّنَـــاءِ بِمَالِـــهِ وَيَعْلَـــمُ أَنَّ الدَّائِـــــرَاتِ تَـــدُوْرُ

ويحاول الشعراء في مدح الكرماء التجديد والابتكار في المعنى، أو الغوص على معان وصور لم يسبقوا إليها، فيقبلون على معاني القدماء، ويأخذون منها ويســـتعين بعضهم بخواطر الشعراء، وإن لم يعتمد على ألفاظهم وصورهم. ومـــن الواضـــح أن الصنعة اللفظية والمعنوية تغلب أحيانًا على صورة مدح الكرم، لما في رغبة الشعراء مـــن رجاء النوال وتعجيل العطاء.

ويمدح الشاعر غيره بالكرم، ويفخر بكرم نفسه، فيتفنن دعبل في رسم بعـــض الصور الفنية التي تؤكد مقدرته التصويرية وبخاصة في لوحات إكرامه الضيـــف، فقـــد رأى أن نغمات الضيف أحلى عنده من ثغاء الشاء أو ذات الرغاء، ويـــرى جمـــالاً في صوت مضغ الطعام للضيوف أجمل من غناء القيان بالعيدان ويجعل القدر تغني طربًـــا، وغيرها من الصور الفنية التي توسل الشاعر بها حتى يضيف على الأفكار تجديـــدًا في محاولة للهروب من التقليد والتكرار.

وتلتقي أفكار الشعراء، ومضامين صور الكرم، مع ما أرشد إليه الإسلام، في أن يساعد الإنسان القادر على البذل جاره الضعيف، ولا يليق به أن المبيـــت طاعمًـــا، وجاره بجانبه طاوٍ، فيقول العباس بن مرداس[٢٢٢]:

---

[٢٢١] دعبل الخزاعي: ديوانه، ص٢٧٩.

[٢٢٢] العباس بن مرداس: ديوانه، ص٣٨.

www.mtenback.com

مَا يُؤْمَنُ المَرْءُ الَّذِيْ بَـــاتَ طَاعِمًـــا وَبَاتَ عَلى ظَهْرِ الفِـــرَاشِ المُمَهَّـــدِ
جِنَايَةَ مِثْلِ السَّـــيْدِ يُصْبِـــحُ طَاوِيًـــا وَيَـــأْوِيْ إِلى جُرْثُومَـــةٍ لَـــمْ تُوَسَّـــدِ

وهنا شاعر آخر يطلب من الكريم أن يستمر في كرمه، وألا يقطع العطاء عنه، حتى لا يكون البرق خادعًا، خاليًا من الغيث، وهو يأمل أن يكون الجود عادة مستمرة والاكرام سجية فيقول عمرو بن معد يكرب[٢٢٣]:

لا تَهِنِّـــيْ بَعْـــدَ إِكْرَامِـــكَ لِـــــي فَشَـــــدِيْدٌ عَـــــادَةٌ مُنْتَزَعَـــــــهْ
لا يَكُـــنْ يَوْمُـــكَ بَرْقًـــا خُلَّبًـــا إِنَّ خَيْرَ البَـــرْقِ مَـــا الغَيْـــثُ مَعَـــهْ

ويرى حسان في الكرم وراثة، وأن الفعال الحميدة يرثها الممدوح كـــابرًا عـــن كابر فيقول[٢٢٤]:

وَرِثْـــتَ الفِعَـــالَ وَبَـــذْلَ التِّـــــلاَ دِ وَالمَجْـــدَ عَـــنْ كَـــابِرٍ كَـــــابِرِ
وَحَمْـــلِ الدِّيَـــاتِ وَفَـــكِّ العُنَـــــا ةِ وَالعِـــزَّ فِـــي الحَسَـــبِ الفَـــاخِرِ

وهذا شاعر يذكر اسم ممدوحه الكريم، ويرى الكرم قاصرًا عليه ويجمـــع مـــع الكرم السماحة والمروءة فيقول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشرج[٢٢٥]:

إِنَّ السَّـــمَاحَةَ وَالمُـــرُوءَةَ وَالنَّـــــدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلى ابْـــنِ الحَشْـــرَجِ

أما أبو عطاء السندي فيجعل كرم نصر بن سيار والي خراسان مضرب المثـــل لأنه يهب المال والخيل والقيان[٢٢٦]:

يَا طَالِبَ الجُودِ إِمَّـــا كُنْـــتَ تَطْلُبُـــهُ فَاطْلُبْ عَلى بَابِهِ نَصْرَ بْـــنَ سَـــيَّارِ

---

[٢٢٣] عمرو بن معد يكرب: ديوانه، ص٧٨.

[٢٢٤] حسان بن ثابت: ديوانه، ص٢٤٩.

[٢٢٥] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص١٧٦.

[٢٢٦] المصدر السابق: ج١، ص١٧٧.

www.mtenback.com

الوَاهِبَ الخَيْلَ تَغْدُو فِي أَعِنَّتِهَا مَعَ القِيَانِ وَفِيهَا أَلْفُ دِينَارِ

وكعب بن زهير يجمع مع الكرم الشجاعة والوفاء بالذمم فيقول في أهل الحجاز[٢٢٧]:

هُمْ الأُسْدُ عِنْدَ البَأْسِ وَالحُشْدُ فِي الوَغَى وَهُمْ عِنْدَ عَقْدِ الجَارِ يُوفُونَ بِالذِّمَمْ

وابن الرومي يمدح الكريم، ويرى وجوب شكره، ويصوره في صور عديدة حتى يضفي على المعنى تجديدًا وابتكارًا فيقول[٢٢٨]:

فَتَى لا يَرَى تَأْخِيرَ غَوْثَ وَلِيِّهِ وَلاَ يَقْتَضِيهِ الشُّكْرُ بِالعَرَضِ الأَدْنَى

تَعَبَّدَنِي بِالعُرْفِ حَتَّى اسْتَذَلَّنِي عَلَى أَنَّ فِي نَفْسِي عَلَى غَيْرِهِ طَغْوَى

ومن أروع ما سجله ابن الرومي في عطاء الكريم تلك المعاني البكر التي لم يسبق إليها، والتي تؤكد براعة الصنعة الفنية، في تفتيق الأفكار والعمل على تحديثها، وتجنيبها مغبة التقليد والتكرار، فهذا كريم يغيث الملهوف، ويستجيب لنداء كل مكروب، يقابل ضيوفه والمحتاجين بالبشر والترحيب، ولو رفض الراغبون يومًا كرمه لأجبرهم على قبول هذا العطاء، فلقد أحبت كفه البذل والجود، فهذا أسبق من الريح المرسلة، وإذا قيست الرياح به لأضحت كالدبيب[٢٢٩]:

يَسْتَغِيثُ اللَّهِيفُ مِنْهُ بِمَدْعُوٍّ وَ لَدَى كُلِّ كُرْبَةٍ مُسْتَجِيبْ

يَتَلَقَّى المُدَفَّعِينَ عَنِ الأَبْ وَابِ بِالبِشْرِ مِنْهُ وَالتَّرْحِيبْ

لَوْ أَبَى الرَّاغِبُونَ يَوْمًا نَدَاهُ لَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِالتَّرْهِيبْ

---

[٢٢٧] كعب بن زهير: ديوانه، ص٩٣.

[٢٢٨] ابن الرومي: ديوانه، ج١، ص٩٥.

[٢٢٩] المصدر السابق، ص١٤١-١٤١.

www.mtenback.com

رُبَّ أُكْرُومَـةٍ لَـهُ لَـمْ تَخُلْهَـا ... قَبْلَـهُ فِـي الطِّبَـاعِ وَالـتَّرْكِيْبِ
حَبَّبَـتْ كَفُّـهُ السُّـؤَالَ إِلى النَّـا ... سِ جَمِيْعًـا، وَكَـانَ غَـيْرَ حَبِيْـبِ
لَوْجَرَى وَالرِّيَـاحَ شَـأْوًا لأَضْحَـى ... جَرْيُهَـا عِنْـدَ جَرْيِـهِ كَـالدَّبِيْبِ

وحقيقة فقد أغنى الشعراء قيمة الكرم بأفكارهم المتجددة، وقد احتل شعر الكرم مساحة لائقة ومكانة رفيعة في ساحة الشعر العربي، ويكاد أن يكون موضوعًا مشتركًا عند معظم شعراء العربية، فضلاً عن كونه صفة واجبة يمدح بها كل من مدح من رجالات العرب القادرين على العطاء، ومن الواضح أن المعاني التي وصف بها الشعراء الكرماء في الجاهلية قد تطورت بعض الشيء في عصور الإسلام وفي العصور العباسية وما تلاها، وأصبح الشاعر العربي يجدد في المعنى، ويتفنن فيه، ويحاول الابتكار جاهدًا حتى يضفي على قوله قبولاً مستساغًا، وقد أصبح من المؤكد التقاء قول الشعراء ومضامين أشعارهم في الكرم مع ما دعا إليه الإسلام في القرآن والسنة، ولعل المادة الأصلية في أفكار شعر الكرم ومضامينه إنما تعود إلى ذلك التراث الإسلامي والموروث الأخلاقي الذي تعهده العرب وعرفوا به.

ومن المؤكد أيضًا أن منهج الشعراء في تصوير هذه القيمة في جانبها الأدبي يفترق كثيرًا من ناحية الصياغة الفنية والشكل الجمالي وبعض المبالغة في الأفكار، والجنوح في الخيال عما ذهب إليه الموروث الإسلامي في وصفه الشرائع والحدود المألوفة والمرسومة لإنماء هذه القيمة وتزيينها، ومن الواضح أيضًا أن توسل الشعراء باللغة الشاعرة وحسن استخدامهم لتراكيب العربية وصيغها أفادهم كثيرًا في التفنن في أفكار ومضامينه شعر الكرم، مما يجدر بالبحث أن يستعرض دور اللغة والمفردات في تأكيد صورة الكرم، وفي أداء الدور الفني المرسوم لها، في الخروج من دوائر التعبير المباشر، أو التصوير الواضح، إلى دوائر الفن والخيال، حتى تتأكد القيمة وتتجسد

www.mtenback.com

وتتشكّل في قوالب كثيرة، جديدة ومتنوعة توسلاً لأداء الدور الفني الـذي استطاع الشاعر أن يؤديه من خلال صوره الفنية التي فرغ لها في تصويره قيمة الكـرم، حتـى أصبحت للغة الشعرية بعض المواصفات الخاصة، وكذلك أصبح للصـورة الفنيـة في ميدان الكرم مصادرها الخاصة التي استمد الشاعر منها صوره كما أنها نجحـت في أداء الدور المعد لها.

اللغة الشعرية والتصوير الفني ودورهما في إرساء قيمة الكرم:

الألفاظ أداة الشاعر، والشاعر الفنان يستطيع بهذه الأداة أن يخرج فنًا رائعًا إذا أحسن التوسل باللغة في تعبيره وفي تصويره.

والشعر لا ينسج من الأفكار بل من الكلمات، ومعنى القصيـدة يثـيره بنـاء الكلمات بأصوات أكثر مما يثيره بناء الكلمات بمعان، وذلك التكثيف للمعنى الـذي تشعر به في أية قصيدة أصيلة، إنما هو حصيلة لبناء الأصوات[٢٣٠].

وقد بذل الشعراء جهدًا في انتخاب ألفاظهم لتكوين عباراتهم الأدبية، فأشاروا بها إلى المعاني التي أرادوا تشكيلها، ففجروا من اللغة طاقات كامنة، وقدرات هائلـة، فانتقلوا بها من التعبير العادي، إلى التصوير الفني.

وقد ساعدت اللغة الشعراء في تصوير قيمة الكرم على تقصي مواطن الإبداع في الكلمة، فلم تكن عندهم كلمات مرصوصة وعبارات مصفوفة، وتعابير جاهزة، وصيغ محفوظة تكاد تقتل المعنى قتلا، وتبعد عن الهدف الذي يرنو إليه شاعر الكـرم أو أي شاعر ما.

ويمكن القول إن الشعراء نجحوا في ابتداع لغة خاصة بالكرم، وكأن لغة الكرم، قاصرة عليه، ويمكن أن يكون هناك لغة للشجاعة وأخرى للوفاء وغيرهما، وهذا مـا يعرفه بعض علماء اللغة بالحقول الدلالية، إنها مجموعة المفردات، وتلك الطائفـة مـن

---

(٢٣٠) أرشيبالد مكليش: الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوشي، دار اليقظة، بيروت، ص٢٣.

www.mtenback.com

الألفاظ التي تتعاون معًا في محور واحد يخدم غرضًا، والمتأمل في شعر الكرم، يستطيع في بساطة ويسر أن يضع يده على تلك القائمة من المفردات التي تشكل لغة خاصة بالكرم، لا يخرج تعبير عن التوسل به، ولا تقوم صورة فنية في ميدان الكرم دون استخدام هذه الألفاظ، ولا يفهم معنى الكرم إلا وكانت أدواته أو لغته الخاصة هي المعدن الأصلي في تشكيله.

الأمر الأول من أبرز سمات هذه اللغة الخاصة بالكرم الجزالة والوضوح، فهي لا تهبط إلى درك التعبير العامي ولا ترقى إلى الغموض والتوعر، بل اتخذت بين ذلك سبيلاً في تناسق منغم وجرس محبب.

الأمر الثاني في لغة الكرم الملاءمة الدقيقة بين الألفاظ والمعاني، حتى لا يطغى جانب على جانب، فلا يصبح لفظيًا خالصًا، ولا يصبح رمزيًا خالصًا.

الأمر الثالث أجاد الشعراء تنسيق الألفاظ، وبرعوا في إكسابها بعدًا فنيًا سما باللغة عن أبعادها المعروفة في التعبير المألوف، فصاغوا قوامًا فنيًا جديدًا.

الأمر الرابع بدت العصرية والحضارة ظاهرة في اختيار ألفاظ الكرم عند شعراء ما بعد الجاهلية ولا سيما في العصور المتأخرة، فتجنبوا الطلل والدمن والأثافي والبيداء، والإبل بعض الشيء، وعبروا عن العصر وروحه في بساطة دون تفريط في انتخاب الألفاظ وتكوين العبارات.

الأمر الخامس أجاد الشعراء في إدراك العلاقات بين ألفاظ الكرم، واهتموا بالترابط والتآلف والتناسق، وآثروا الكلمة الموحية المصورة.

وكان الشعراء مجيدين في اختيار ألفاظ تنتقل بالفكرة من الحسي إلى المعنوي ومن المباشر إلى الدلالة المجازية، فأنشؤوا بينها علاقات مبتكرة، نجحت في تأكيد هذه القيمة الأخلاقية وفي تصوير نفسيات الكرام ونفسيات المكرمين وطبيعة العصر والبيئة وأثر تلك الطبيعة في المجتمع.

www.mtenback.com

ومن أبرز تلك الطائفة اللغوية التي يمكن أن تعبر عن معنى الكرم قولهم:عظيم رماد القدر، موقدنا القرى، جبان الطلب، مهزول الفصيل، عظيم الجفان، مطعم الجائعين، أخو شتوات، عاقر الكوم، عقيد الندى، الواهب، وعشرات المعاني التي استعملها الشعراء بمدح الأجواد، وجعلوها صفة تلازم من يريدون مدحه بخصال الكرم.

وهذا مما يؤكد اختلاف الصيغ والأساليب الشعرية والمفردات المشكلة للجمل والتعابير باختلاف الأغراض الشعرية مما يجعل للكرم لغة خاصة وتعبيرات قاصرة عليه يفهم الكرم إذا ذكرت، وقد أدرك الشعراء ذلك وعرفوا أن الشعر صنعة وأرادوا ضرورة مطابقة اللفظ للمعنى.

أما عن التصوير الفني في شعر الكرم، فقد كان سمة بارزة في أشعار الكرم، ويعد من المكونات الأصيلة لبنائه وتشكيله، وقد نجحت الصورة في شعر الكرم في خلق علاقات جديدة بين مفردات اللغة، التي عجزت في وصفها العادي عن التعبير عن تجربة الشاعر الخاصة، كما نجح الشعر من خلال الصورة في الربط بين المتنافرات في الواقع لإثارة العواطف، وتأكيد المعنى.

وقد لعبت الكناية دورًا بارزًا في تشكيل بعض صور شعر الكرم، حتى أصبحت بعض الكنايات مأثورة مشهورة، تجري مجرى الأمثال في بعض الأحيان، ومنها فلان جبان الكلب، ومنها فلان عظيم القدر، أو فلان كثير رماد القدر، وغيرها من تلك الكنايات التي تعبر عن الكرم، وتوسّل بها الشعراء كثيرًا في أشعارهم، وفي الكناية إشارة وفيها إرداف وفيها تمثيل وفيها رمز وفيها إيحاء، وكان للإثبات بالكناية مزية لا تكون للتصريح، فإن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد على جودها آكد وأبلغ من أن تجيء إلى الصفة، تثبتها هكذا ساذجًا غفلاً»[٢٣١] فالكناية أبلغ من التصريح وأجمل من الإيضاح.

---

[٢٣١] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، نشر السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ط٥، ص٥٩.

www.mtenback.com

ويكثر التوسل بالتصوير البياني في شعر الكرم، وقد أدت الصورة الفنية في شعر الكريم دورها المعد لها، وكان دور التصوير في شعر الكرم دورًا أساسيًا بارزًا، وأصليًا جوهريًا، لا فرعيًا ثانويًا، أو سطحيًا ساذجًا، فهو وسيلة من وسائل هذه القيمة، وهو منهج من مناهج تقريب المعنى وتبسيطه، وهو لون من ألوان الجمال والترغيب.

ومن المعروف أن منهج الشاعر يختلف عن منهج الواعظ أو منهج المفسر أو المتحدث وغيرهم، والتصوير البياني سمة بارزة في التعبير الشعري، يأخذ بالمعاني والأفكار إلى طريق ينسجه الخيال حتى يصل إلى وجدان المتلقي فيشعر بما فيه، ويتأثر ويعتقد بما يهدف إليه.

ومن المعروف أن هذه الصور الفنية جميعها، التي لجأ إليها الشعراء الذين نظموا أشعارهم في الكرم تهدف إلى معنى واحد، هو مدح الكرم والكرماء والترغيب في هذه القيمة الأخلاقية، غير أن تفنن بعض الشعراء حسب درجاتهم الفنية، وتفاوتهم في المقدرة التصويرية أضفى على معاني شعر الكرم الجديد من النعوت والسمات. ومن هذه الصور الفنية البارزة في شعر الكرم ما صنعه ابن الرومي في قوله[٢٣٢]:

مَلِكٌ يَقْدَحُ الحَيَاةَ مِنَ المَوْ ... تَى، وَيَكْفِي بِفَضْلِهِ الأَحْيَاءَ

ذَلِكَ السَّيِّدُ الَّذِي قَتَلَ اليَأْ ... سَ، بِأَفْضَالِهِ وَأَحْيَا الرَّجَاءَ

وَتَعَالَتْ بِهِ سَمَاءُ المَعَالِي ... أَوْ تَرَى مَجْدَهُ السَّمَاءُ سَمَاءَ

فالحياة تقدح من الموتى، والفضل يكفي الأحياء، وهو يقتل اليأس بالعقل، وهو قادر على إحياء الرجاء بنعمه، وللمعالي سماء، وللمجد سماء أيضًا، ولعل ابن الرومي في مدائحه بالكرم كان من أكثر الشعراء تصويرًا لما عرف به في شعره من مقدرة فائقة

---

[٢٣٢] ابن الرومي: ديوانه، ج١، ص٦١-٦٢.

www.mtenback.com

على تدبيج الصورة وتنميقها. ويصور ممدوحه في موضع آخر بأنه سماء والآخرين أرض، وكرمه يمطر الورى مزنا وغيثًا ورحمة ونعمة[٢٣٣]:

بِحَقِّكَ أَمْطَرْتَ الـوَرَى وَبِحَقِّهِمْ ... لأَنَّهُمُ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ

وما أجمل تلك اللوحة الفنية التي يرسمها ابن الرومي،! وينظم فيها عديدًا من الصور المتتالية التي هي أشبه بعنقود مختلف الألوان، أو الصور العنقودية التي تتوالى وتتتابع في إيقاع تصويري فني جميل، يضفي على ممدوحه طائفة من القيم والأخلاق من العقل والكرم والبهاء والجود وغيرهما[٢٣٤]:

وَهْوَ إِلْفُ الحِجَا وَتِرْبُ المَسَاعِي ... وَعَقِيدُ النَّدَى، وَحِلْفُ البَهَاءِ

وَهْوَ بَعْلٌ لِلْمَكْرُمَاتِ، فَمَا يَنْـ ... ـفَكُّ بَيْنَ العَوَانِ وَالعَذْرَاءِ

وَجَوَادٌ عَلَيْهِ بِالمَالِ وَالنَّفْـ ... ـسِ وَبَذْلِ العَقِيلَةِ الوَفْرَاءِ

وتنحو الصورة الفنية في شعر الكرم أو في شعر ابن الرومي منحى واضحًا في تصوير الكرم بالغيث أو بالمطر ويسبقه البرق أو الرعد، أو تصوير الكريم بالبحر كما فعل القدماء من الشعراء، بيد أن ابن الرومي كان يضيف جديدًا حين يتفق مع غيره في استمداد صورته من عناصر الطبيعية الحية المتحركة كالغيث والبرق والريح وغيرها، ثم يفرق عنهم في أن يجعل عطاء الكريم أفضل من عطاء الطبيعة.

يأخذ الشاعر من الطبيعة النسيم، شمالاً وجنوبًا، والمطر، والأرض التي تسعد بجود السماء، فتهتز رباها خصبًا، وتجني منها عذب الثمار[٢٣٥]:

نَسِيمِي مِنْكُمُ أَبَدًا شَمَالٌ ... وَرَوْحِي حِينَ أَسْتَسْقِي جَنُوبُ

---

[٢٣٣] ابن الرومي: ديوانه، ج١، ص٥٩.

[٢٣٤] المصدر السابق، ص١١٦.

[٢٣٥] المصدر السابق، ص١٨٩.

www.mtenback.com

وكفاه تمطر جودًا وعطاءً، والأرض تزهر، والربى تهتز خصبًا[٢٣٦]:

إِذَا مَطَرَتْ كَفَّاهُ بِالبَذْلِ نَوَّرَتْ ... لَهُ الأَرْضُ وَاهْتَزَّتْ رُباها مِنَ الخِصْبِ

وهو أشبه بالسحاب، يسقي الأرض والورى بجوده، فتتهدّل ثمار عذاب[٢٣٧]:

لَكَ عِنْدِي صَنِيْعَةٌ مَا سَقَاهَا ... غَيْرُ وَسْمِيكَ القَدِيْمِ سَحَابُ

فَاسْقِهَا مِنْ وَلِيِّكَ الجُودَ وَارْبُبْهَا ... تَهَدَّلْ لَهَا ثِمَارٌ عِذَابُ

ويمضي ابن الرومي في تصويره حتى يجعل عطاء ممدوحه أفضل من عطاء الطبيعة وجوده لا يغيب بينما قد يختفي جود الغيث[٢٣٨]:

تَجُودُ بَنَانُهُ وَالغَيْثُ مُكْدٍ ... وَيَمْضِي عَزْمُهُ، وَالسَّيْفُ نَابِي

تَجُودُ يَدَاكَ بِالذَّهَبِ المُصَفَّى ... إِذَا مَا الغَيْثُ عَلَّلَ بِالذِّهَابِ

وَجُودُكَ لا يَغِبُّ النَّاسَ يَوْمًا ... وَجُودُ الغَيْثِ تَارَاتُ اعْتِقَابِ

تَجُودَانِ الأَنَامَ بِلا امْتِنَانٍ ... بِمَا تَسْتَمْطِرَانَ، وَلا احْتِسَابِ

وجود الكريم أشبه بالغيث، بل هو الغيث، وله برق يسبقه وتحركه رياح، ويتبعه المعروف، غير أن غيث السماء يتبع برقه تنضاحه، فغيث الممدوح أفضل من غيث الطبيعة هكذا رأى ابن الرومي في تصويره[٢٣٩]:

غَيْثٌ أَظَلَّ فَبَشَّرَتْكَ بُرُوقُهُ ... وَمَرَّتْ لَكَ النَّفَحَاتُ فِيهِ رَيَاحُهُ

مَا زَالَ يَتْبَعُ بِشْرَهُ مَعْرُوفُهُ ... وَالغَيْثُ يَتْبَعُ بَرْقَهُ تَنْضَاحُهُ

---

[٢٣٦] ابن الرومي: ديوانه، ج١، ٢٠٨.

[٢٣٧] المصدر السابق، ص٢١٢.

[٢٣٨] المصدر السابق، ص٢٦٣.

[٢٣٩] المصدر السابق، ص٥٢٨.

www.mtenback.com

ويقول أيضًا مصورًا كرم الممدوح[٢٤٠]:

أَضْحَتْ حِيَاضُ الْمُعْطِشِيْنَ بِجُوْدِهِ فَهَفَتْ جَوَانِبُهَا مِنَ التَّطْفِيْحِ
وَرَدَتْ مَنَاهِلُهُ فَمَاحُوا وَاسْتَقَوا مِنْهُنَّ أَعْذَبَ مُسْتَقٍ وَمُمِيْحِ
لَوْ أَنَّهُ وَسَمَ الرِّيَاضَ بِجُوْدِهِ أَمِنَتْ حَدَائِقُهَا مِنَ التَّصْوِيْحِ

وإذا انتقلنا إلى ركن آخر من متحف التصوير الفني لشعر الكرم، بعيدًا بعض الشيء عن تصوير ابن الرومي لعطاء الممدوح الكريم، نرى صورًا من لون آخر أعدها الشاعر العباسي دعبل بن علي الخزاعي حين يسلط عدسته الفنية ليصور الضيف والترحيب به في عدة صورة فنية بالغة الجمال والتأثير، فهذه أصوات الضيوف حين الطعام أجمل بل أحلى عنده من ثغاء الشاء أو ذات الرغاء[٢٤١]:

نَغَمَاتُ الضَّيْفِ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنْ ثُغَاءِ الشَّاءِ أَوْ ذَاتِ الرُّغَاءِ

وهي صورة تستمد عناصرها من الواقع القريب ومن بعض عناصر بيئية من الحيوان الشاء والنوق، وفي صورة أخرى يرى أن صوت مضغ الضيف حين الطعام أحب إليه من غناء الجواري وعزف الأعواد فيقول[٢٤٢]:

صَوْتُ مَضْغِ الضُّيُوْفِ أَحْسَنُ عِنْدِي مِنْ غِنَاءِ الْقِيَانِ بِالْعِيْدَانِ

وفي صورة أخرى يفخر بإكرام الضيف، فيبث الحياة في الجوامد، ويرى في غليان القدر غناء وطربًا، فرحًا وهي كناية عن نشيش الطبخ الذي استعاض به لقرى الضيف عندما لم يجد اللبن، عقر للضيف وجزر له فبدأت القدر تطبخ ولكن ذلك سبب حزنًا للعيال الذين بكوا حلوبتهم بعد ذبحها:

---

(٢٤٠) ابن الرومي: ديوانه، ج٢، ص٥٣٧.

(٢٤١) دعبل الخزاعي: ديوانه، ص٩٧.

(٢٤٢) المصدر السابق ص٢٩٨.

www.mtenback.com

لَمَّا احْتَبَى الضَّيْفُ وَاعْتَلَّتْ حَلُوبَتُهَا بَكَى العِيَالُ، وَغَنَّتْ قِدْرُنَا طَرَبَا

وفي موضع آخر، تتكرر صورة غناء القدر طربا[٢٤٣]:

وَبَاتَتْ قِدْرُنَا طَرَبًا تُغَنِّي عَلَانِيَةً بِأَعْضَاءِ الجَزُورِ

وفي صورة أخرى يجعل دعبل كلبه مبشرًا بمقدم الأضياف، ويجعل للسرور ماء يتصبب من ينابيعه حين ينبح الأضياف كلبه[٢٤٤]:

إِذَا نَبَحَ الأَضْيَافَ كَلْبِي تَصَبَّبَتْ يَنَابِيعُ مِنْ مَاءِ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِي

فَأَلْقَاهُمُ بِالبِشْرِ وَالبرِّ وَالقِرَى وَيَقْدُمُهُمْ نَحْوِي يُبَشِّرُنِي قَلْبِي

ويجعل من الكلاب مرحبة بالضيوف بطريقتها الخاصة، حين تراه، فتقابله ثم تحييه بذيولها، وتكاد تفصح عن ترحابها من كثرة ما عودها صاحبها أن تكون عليه عند حلول الضيف[٢٤٥]:

حَتَّى إِذَا وَاجَهْتَهُ، وَلَقِيْتَهُ حَيَّتْهُ بِبصَابِصِ الأَذْنَابِ

فَتَكَادُ مِنْ عِرْفَانِ مَا قَدْ عُوِّدَتْ مِنْ ذَاكَ، أَنْ يُفْصِحْنَ بِالتِّرْحَابِ

ومن أبرز الوظائف التي أدتها الصورة في شعر الكرم، إبرازها بعض قيم المجتمع، وتأكيدها لمثل الإنسانية العليا، ولم تهدف الصورة إلى الوعظ والتعليم والتربية بطريق مباشر، بل عمدت إلى الإثارة والانفعال، وتحريك العاطفة، باعتمادها على الخيال لتحقيق التأثير في عواطف البشر، ومشاعرهم. فأدت الصورة لذة قوية ممتعة في النفوس. وارتقت بقيمة الأدب حتى أضحت وظيفة الصورة ليست كمالية أو ثانوية، بما حققته من سمو بالأفكار، فإن المشاعر التي يثيرها الفن والتصوير أكبر عمقًا وسعة، فهي

---

(٢٤٣) دعبل الخزاعي: ديوانه، ص٢٠٨.

(٢٤٤) المصدر السابق، ص١١٦.

(٢٤٥) المصدر السابق، ص٣٢٤.

www.mtenback.com

ليست نسخة من الواقع أو مسخًا لجانب من جوانبه، أو تشويهًا لموقف في الحياة، ولكنها تحترم العقل وحدود الإمكان، وتتخطى المعطيات الطبيعية إلى واقع أكثر تجديدًا وابتكارًا خدمة للمعنى وتأكيدًا له.

أما السمات الفنية لشعر الكرم عامة، فهي تتمثل في كونه شعر مقطوعات تغيب عنه المطولات أو القصائد الكاملة، بل يأتي غرضًا بين أغراض القصيدة، وربما كان هو الأصل في نظم القصيدة، مدحًا، غير أن الشاعر كان يجمع عادة مع الكرم خصالاً أخرى، ويجعل له تقديمًا وخاتمة ووصفًا لرحلته وغير ذلك، ونادرًا ما نعثر على قصيدة بأكملها نظمها صاحبها في موضوع الكرم.

وشعر الكرم أيضًا كان يحتل من القصيدة قلبها وجوهرها، يبعد عن المقدمات المعروفة للقصائد بأنواعها المختلفة وهي الجزء الذاتي للشاعر، كما أنه يبعد أيضًا عن خواتم القصائد.

ومن المؤكد أيضًا أن شعر الكرم ألصق ما يكون بالمدائح، فهي مجاله المناسب، وهي ميدانه اللائق، والكرم أبرز مضامين شعر المديح العربي.

ومن الطبيعي أن تلك الأفكار التي عالجها الشعراء في ميدان الكرم في الجاهلية قد تطورت في أشعارهم في عصور الإسلام ثم في عصور الازدهار الأدبي، وبدا كل شاعر حسب مقدرته الفنية في صياغة الجديد وإضافة المبتكر على معاني الكرم التقليدية، وكان للكرم لغته الخاصة، كما أن عنصر التصوير الفني قد أسهم كثيرًا في إضفاء الجديد المبتكر على معاني شعر الكرم. وقد اشتمل شعر الكرم على عدة أغراض معروفة من أغراض الشعر، فكان المدح حين يمدح الشاعر القادر على العطاء، وكان الفخر حين يفخر الشاعر بكرمه كحاتم الطائي ومعن بن أوس وغيرهما، أو ترحيبه بالضيف كدعبل الخزاعي، وكان الرثاء حين يرثي كريمًا كما فعلت الخنساء مع أخيها صخر، وكانت الحكمة في ذم البخل والحث على الكرم، مما جعل شعر الكرم من أزهى ألوان الشعر العربي الجدير بالبحث إرساء لتلك القيمة الإنسانية العليا.

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ... الآية﴾	٢٦١	١٥
	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا... الآية﴾	٢٦٢-٢٦٣	٦٢
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ... الآية﴾	٢٦٤-٢٦٥	٥٥
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا... الآية﴾	٢٦٧-٢٦٨	١٥
	﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ... الآية﴾	٢٧١	١٧
	﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ... الآية﴾	٢٧٢	٥٤
	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا... الآية﴾	٢٧٤	١٥
آل عمران	﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا... الآية﴾	٩٢	١٥
النساء	﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا... الآية﴾	٣١	٧
الأنفال	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ... الآية﴾	٢٨	٥٤
الإسراء	﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا... الآية﴾	٢٣	٧، ٨
	﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ... الآية﴾	٢٦-٢٧	١٦
	﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ... الآية﴾	٢٩	١٩
	﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي... الآية﴾	١٠٠	١٦
الكهف	﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا... الآية﴾	٧٧	٦٥
المؤمنون	﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ... الآية﴾	١١٦	٧
النور	﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ... الآية﴾	٣٣	٥٤
الفرقان	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا... الآية﴾	٦٧	١٩
النمل	﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كِتَابٌ كَرِيمٌ... الآية﴾	٢٩	٧
	﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ... الآية﴾	٤٠	٨
الأحزاب	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... الآية﴾	٢١	٥٩
	﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا... الآية﴾	٣١	٧، ٨

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
محمد	﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... الآية﴾	٣٨	١٦
الواقعة	﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ.... الآية﴾	٧٧-٧٨	٧
الحشر	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ... الآية﴾	٩	٥٤
التغابن	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا... الآية﴾	١٦	١٧
	﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا... الآية﴾	١٧-١٨	١٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية، ولاتضربوا المسلمين..»	٦٩
«إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب...»	٦٩
«إذا دعيتم إلى كراعٍ فأجيبوا..»	٧٠
«إن الله حييّ كريم يستحيي...»	٢١
«إن في الجنة غرفاً يرى بطونها من ظهورها...»	٧١
«إن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق...»	٨
«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...»	٥٩
«ثلاث لايكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة...»	٦٢
«الضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة...»	٧٠
«كان كرجل من رجالكم...»	٢١
«كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة...»	٢٢
«كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود مايكون في رمضان...»	٢٢
«كان النبي ﷺ لايدخر شيئاً لغد...»	٢٢
«لا حسد إلا في اثنتين...»	٢١
«لو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت...»	٧٠
«ماشبع رسول الله ﷺ وعلى آله من خبز قط إلا على ضفف...»	٢٢
«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايخذله،...»	٥٥
«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولايقبل الله إلا الطيب...»	٦١
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه،...»	٧٠
«يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني...»	٦٦

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
فتى	الأدنى	ابن الرومي	٢	٨٨
عجبت	الرحى	الراعي النميري	١٣	٣٢
		ـ ء ـ		
ملك	الأحياء	ابن الرومي	٣	٩٣
وهو	البهاء	ابن الرومي	٣	٩٤
نغمات	الرغاء	ابن الرومي	١	٩٦
بحقك	سماء	ابن الرومي	١	٩٤
نصول	ماء	زيد الخيل	٢	٦٨
		ـ ب ـ		
حتى إذا	الأذناب	دعبل	٢	٩٧
له	التهاب	ابن الرومي	٤	٤٤
أقِلُّ	تقلُّبُ	–	٣	٥٧
أضاحك	جديب	حاتم الطائي	٢	٦٣
نسيمي	جنوب	ابن الرومي	١	٩٤
ورأيت	حربي	ثعلب	١	٦٥
وكم	خائب	أبو قيس بن صيفي	٢	٨٠
لك	الخصب	ابن الرومي	٨	٩٥
تحيّزُ	ضارب	القطامي	١	٦٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لمّا احتبى	طرب	–	١	٩٧
إذا نبح	قلبي	دعبل بن علي الخزاعي	٢	٩٧
ويدل	كلابي	دعبل بن علي الخزاعي	٣	٥٠
وليس	المتغابي	–	١	٥٩
يستغيث	مستجيب	ابن الرومي	٦	٨٨
وندىً	مصابه	ابن الرومي	٥	٨١
		ـ ت ـ		
مطاعيم	والبركات	دعبل بن علي الخزاعي	١	٨٥
		ـ ج ـ		
إن السماحة	الحشرج	–	١	٨٧
لقد	خروج	شبيب بن البرصاء	٢	٣١
أغذني	علاجا	النمر بن تولب	٧	٣٨
		ـ ح ـ		
ومستنبح	جانح	عتبة الحارثي	٣	٤٨
غيث	رياحه	ابن الرومي	٥	٩٥
		ـ د ـ		
لقد	أحمدا	حميد بن ثور الهلالي	٣	٣٦
رفضا	ركودها	الراعي النميري	٢	٤٣
قرم	السؤدد	كعب بن مالك	٢	٧٩
إذا نزل	عودها	محمد بن بشير الخارجي	٣	٣٥
قليل	الفساد	المتلمس الضبعي	٢	٢٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وعاذلة	فعرّدا	معن بن أوس	٧	٣٩
تضيفته	قائدا	الأعشى	١	٦٥
ذريني	ما تعودا	حاتم الطائي	٧	٣٦
تراه	المقدّد	دريد بن الصمّة	٢	٦٠
ما يؤمن	الممهّد	العباس بن مرداس	٢	٨٧
إذا زال	المنضدا	معن بن أوس	٣	٣٨
عظيم	المهند	كعب بن مالك	١	٦٧
تدل	موقدها	حاتم الطائي	١	٤٩
ومستنبح	وقودها	—	٣	٤٧
	— ر —			
ومستنبح	أصورُ	—	٤	٤٨
هينون	أيسار	العرندس	٢	٥٢
واني	تحسرا	زيد الخيل	١	٦٨
فتى	تدور	أبو نواس	١	٨٦
وباتت	الجزور	دعبل بن علي الخزاعي	١	٩٧
وقدوره	زواخر	أمية بن أبي الصلت	١	٧٧
يا طالب	سيار	أبو عطاء السندي	٢	٨٧
له بفناء	العراعر	النابغة الذبياني	٢	٧٨
والمطعمون	عشار	كعب بن زهير	١	٦٧
إذا ما بخيل	عقورها	حاتم الطائي	٢	٥٠
ورثت	كابر	حسان بن ثابت	٢	٧٨
ونار	لمسافر	كعب بن زهير	٢	٤٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وهم	مقاري	كعب بن زهير	٤	٤٤
وإذا تأمل	مقفر	حسان بن ثابت	٢	٦٨
إني	ناري	—	٢	٤٢
وأبكي	والجار	الخنساء	١	٨٠
لنعم	والحصر	امرؤ القيس	١	٤٣
ومستنبح	وستورها	شبيب بن البرصاء	٥	٤٧
مطاعيم	الفجر	أبوذؤيب	١	٦٨
إلى رجل	ومفخرا	عبدالله بن رواحة	٣	٣٤
المطعمو	الياسر	الأعشى	١	٧٧
— س —				
لعمر	لفارس	الهذلول بن كعب	٢	٣٧
— ع —				
لا يقبلون	تبيعا	دعبل بن الخزاعي	١	٨٥
ولا برما	تقعقعا	متمم بن نويرة	١	٥٢
له	القناعا	أبو زيادة الكلابي	٢	٤٢
لا تهني	منتزعه	عمرو بن معديكرب	٢	٨٧
ثم	وسعه	الأفوه الأودي	١	٤٣
— ف —				
وإني	ترعف	حاتم الطائي	١	٧٤
وكأنهم	للأضياف	أبو تمام	١	٨٣
وجدت	المتضيف	الفرزدق	١	٦٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
يا أيها	مناف	عبدالله بن الزبعرى	٦	٨٢
واني	ونُحَفُ	حاتم الطائي	١	٨٤
		ـ ق ـ		
ومستنبح	طروق	عمرو بن الأهتم	٧	٤٧
وإكرامنا	وموثق	حسان بن ثابت	١	٦٧
فلا أدفع	يرزق	السموءل	١	٤٤
		ـ ل ـ		
لك الخير	أجملا	حسان بن ثابت	٢	٧٥
لا أحبس	حال	ـ	١	٣٧
إذا ما رفيقي	رحلي	المغيرة بن حبناء	٣	٣٤
إن جاءه	السائل	دعبل حبناء الخزاعي	١	٨٦
تراه	سائله	زهير بن أبي سلمى	١	٦٣
تحف	الشمالا	معن بن أوس المزني	١	٨٣
إذا مت	الغياطل	مسكين الدارمي	٤	٧٦
غطارف	العيالا	عمرو الباهلي	١	٣٠
ذريني	فاعله	سوادة اليربوعي	١	٣٧
ليس	قليل	المقنع الكندي	١	١٨
مهلا	ما فعلا	حاتم الطائي	٧	٧٤
وما أخذت	تزيل	السموءل	١	٤٤
أخو	يرحل	معن بن أوس	٢	٨٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ م ـــ		
وجزور	أجسامها	لبيد بن ربيعة	٣	٥٣
تضيفت	أحتكم	الأعشى	١	٧٧
مطاعم	الأزم	معن بن أوس المزني	١	٨٣
إذا أحمد	اضطرامها	عمرو العجلي	١	٤٣
فجاء	أظلما	الأخطل الأموي	٢	٣١
أولئك	ألم	حسان بن ثابت	٢	٦٧
وجزور	أجسامها	لبيد	٣	٥٢، ٦٨
هم	بالذمم	كعب بن زهير	١	٨٨
ولا ضيفنا	بمسلم	حسان بن ثابت	١	٦٧
إذا الأمر	تبسما	جرير	١	٨٠
سلي	الثماما	حاجز بن عوف	١	٣٠
وطاوي	رسما	الحطيئة	٥	٣١
وإنا	عندم	حسان بن ثابت	٢	٨١
يعدّ	غنما	دعبل الخزاعي	١	٨٦
إذا أغير	مُسهِما	حسان بن ثابت	١	٨٣
نسود	معدما	حسان بن ثابت	٣	٦٠
وإنا	نعتامها	حاتم الطائي	١	٧٣
		ـــ ن ـــ		
نجيب	يسمو	معن بن أوس المزني	٣	٦٨
صوت	بالعيدان	دعبل الخزاعي	١	٩٦
يأتي	دوني	حاتم الطائي	٤	٥٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وجوفاء	العرن	ابن مقبل	٢	٧٨
وجوفاء	العرن	علي بن مقبل	٣	٣٤
فلوميني	مهيني	حاتم الطائي	١	٧٣
ويثرب	نوآنها	حسان بن ثابت	١	٨١
زمني	وجنانا	دعبل الخزاعي	٢	٨٥
من دعا	علينا	معرس بن كرام	٢	٦٧
ـ هـ ـ				
فمن للضيف	صباها	الخنساء	٢	٧٩
قدوري	أضيافيه	حاتم الطائي	٢	٤٩
ـ ي ـ				
بساحته	كالجوابي	ابن الرومي	١	٤٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أجود من حاتم»	٢٣
«بلغ الجود من قام بالمجهود»	٢٥
«ثواب الجود خلف ومحبة، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمة»	٢٥
«الجود بذل الموجود، والبخل سوء ظن بالمعبود»	٢٥
«ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد وعلموها المكارم...»	٢٣
«لم يحرم من قصد له»	٧٣
«لو كان البخل قميصاً ما لبسته أو طريقاً ما سلكته»	٢٤
«واسمح بمالك، واعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك...»	٢٣
«وعد الكريم إنجاز وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل»	٧٢

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث التغلبي:

ديوان الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الأفوه الأودي:

ديوانه، جمعه: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، د.ت.

الألوسي، محمود شكري:

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت.

امرؤ القيس بن حجر الكندي:

ديوانه، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر،ط٥، د.ت.

أمية، ابن أبي الصلت:

ديوان أمية بن أبي الصلت، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

الباهلي، عمرو بن أحمد:

ديوان الباهلي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م.

www.mtenback.com

الترمذي، محمد بن عيسى، بن سورة:

- مختصر الشمائل المحمدية، المكتبة الإسلامية، عمّان، ١٩٨٥م.

- سنن الترمذي، موسوعة السنة، دار سحنون، إستانبول، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان:

ـ الضيافة وآدابها، مطابع دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٣م.

ـ الضيافة وآدابها في الشعر العربي القديم، مطابع دار المعارف، مصر، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.

ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى:

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، وضع هوامشه وفهارسه: د. حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

ـ البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٦، د.ت.

ـ المحاسن والأضداد، راجعه: د. عاصم عيتاني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

جاد المولى، محمد أحمد:

الخلق الكامل، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

الجبوري، يحيى:

قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

www.mtenback.com

الجرجاني، عبد القاهر:

دلائل الإعجاز، نشر: السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، مصـــر، ط٥، د.ت.

الجرجاني، علي بن محمد علي الحسيني:

التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتـــب، بـيروت، ط١، ١٩٨٧م.

جرير بن عطية الخطفي:

ديون جرير، بشرح محمد حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمـين طـه، دار المعارف، القاهرة، مصر ١٩٦٩م.

حاتم الطائي، حاتم بن عبد الله:

ديوان حاتم الطّائي، تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي:

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة القاهرة، ١٩٧٨م.

حسان بن ثابت الأنصاري:

ديوانه، شرحه: عبـد الرحمـن الـبرقوقي، دار الأندلـس، بـيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

حسين، طه:

في الأدب الجاهلي، دارالمعارف، مصر، ط٩، ١٩٨٦م.

الحطيئة، جرول بن أوس.

ديوان الحطيئة، شرح: ابن السكيت، دراسة: محمد مفيد، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

www.mtenback.com

حلبي، سمير حسين:

الكرم والجود والسخاء، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤٠٨هـ.

الحوفي، محمد أحمد:

من أخلاق النبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.

الخارجي، محمد بن بشير:

ديوان محمد بن بشير الخارجي، تحقيق: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الخزاعي، دعبل بن علي:

دعبل بن علي الخزاعي، ديوانه، جمع وتحقيق: محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:

مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

الخنساء، تماضر بنت عمرو:

ديوان الخنساء، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

دريد بن الصمة:

ديوان دريد بن الصمة القشيري، تحقيق: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة.

ابن رواحة، عبد الله:

ديوانه، جمع ودراسة وليد قصاب، الرياض، دار العلوم، ١٩٨١م.

الراعي النميري، عبيد بن حصين بن معاوية:

ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه: راينهرت فايبرت، دار فرانتس، شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

www.mtenback.com

الراغب الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد:

الذريعة إلى مكارم الشريعة، مطبعة الوطن، القاهرة، ١٢٩٩هـ.

ابن الرومي، علي بن العباس:

ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

زيد الخيل الطائي، أبو منكف زيد بن مهلهل بن قهب:

شعر زيد الخيل الطائي، صنعة أحمد مختار البرزة، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٨م.

السموءل بن عاديا:

ديوان السموءل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، ١٩٢٠هـ.

العباس بن مرداس، بن عامر السلمي:

ديوانه، جمعه وحققه: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

عبد الباقي، محمد فؤاد:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

عمرو بن معد يكرب:

ديوانه، شرح هاشم الطعان، القاهرة، ١٩٧٠م.

عمرو بن الأهتم:

شعر عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر، تحقيق: مسعود محمد عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

www.mtenback.com

الغزالي، محمد:

خلق المسلم، قطر، ط٩، ١٩٧٤م.

الفرزق، همام بن غالب بن صعصعة:

ديوان الفرزدق، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي:

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار المعارف، سوسة (تونس) ١٩٨٩م.

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم:

عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

القيسي، نوري حمودة:

ـ شعراء أمويون، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ـ شعراء إسلاميون، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

كعب بن زهير:

ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

كعب بن مالك الأنصاري:

ديوان كعب بن مالك، تحقيق: سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م.

www.mtenback.com

لبيد بن ربيعة العامري:

ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت، د.ت.

المتلمس الضبعي:

ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

المرزباني، محمد بن عمران بن موسى:

معجم الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

المرزوقي، أحمد بن محمد:

شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر بن أنيف:

ديوان مسكين الدارمي، جمعه: عبد الله الجبور مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م.

ابن مقبل، أبو كعب تميم بن أبي مقبل:

ديوانه، تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٦٢م.

مكليس، أرشيبالد:

الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوشي، دار اليقظة، بيروت.

ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

موسى، محمد يوسف:

الأخلاق في الإسلام، العصر الحديث، بيروت، ط٢، ١٩٩١م.

www.mtenback.com

موسوعة السنة:

الكتب الستة وشروحها، دار الدعوة، تونس ـــ دار سحنون، إستانبول، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

المجلة العربية، السنة الثانية، العدد الأول.

المجلة العربية السنة الثالثة، العدد الأول.

النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية:

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك:

السيرة النبوية، ضبطها: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله:

ـــ فضل العطاء على اليسر، حرره: محمود محمد شاكر، مطبعة الشورى، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

ـــ كتاب الكرماء، تحقيق: محمود الجبالي، مطبعة الشورى، الفجالة، القاهرة.

الهلالي، حميد بن ثور:

ديوان حميد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٧٣هـ/١٩٥١م.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com